



“إبادتنا يريدون”

العراق في الاجتماعي النوع الجنسية والميول والتعذيب العمد القتل

Copyright © 2009 Human Rights Watch  
All rights reserved.

Printed in the United States of America

ISBN: 1-56432-525-3

Cover design by Rafael Jimenez

Human Rights Watch  
350 Fifth Avenue, 34th floor  
New York, NY 10118-3299 USA  
Tel: +1 212 290 4700, Fax: +1 212 736 1300  
[hrwnyc@hrw.org](mailto:hrwnyc@hrw.org)

Poststraße 4-5  
10178 Berlin, Germany  
Tel: +49 30 2593 06-10, Fax: +49 30 2593 0629  
[berlin@hrw.org](mailto:berlin@hrw.org)

Avenue des Gaulois, 7  
1040 Brussels, Belgium  
Tel: + 32 (2) 732 2009, Fax: + 32 (2) 732 0471  
[hrwbe@hrw.org](mailto:hrwbe@hrw.org)

64-66 Rue de Lausanne  
1202 Geneva, Switzerland  
Tel: +41 22 738 0481, Fax: +41 22 738 1791  
[hrwgva@hrw.org](mailto:hrwgva@hrw.org)

2-12 Pentonville Road, 2nd Floor  
London N1 9HF, UK  
Tel: +44 20 7713 1995, Fax: +44 20 7713 1800  
[hrwuk@hrw.org](mailto:hrwuk@hrw.org)

27 Rue de Lisbonne  
75008 Paris, France  
Tel: +33 (1) 43 59 55 35, Fax: +33 (1) 43 59 55 22  
[paris@hrw.org](mailto:paris@hrw.org)

1630 Connecticut Avenue, N.W., Suite 500  
Washington, DC 20009 USA  
Tel: +1 202 612 4321, Fax: +1 202 612 4333  
[hrwdc@hrw.org](mailto:hrwdc@hrw.org)

Web Site Address: <http://www.hrw.org>



أغسطس/آب 2009

1-56432-525-3

## "يريدون إبادتنا" القتل العمد والتعذيب والميول الجنسية والنوع الاجتماعي في العراق

I. المقدمة.....	1
ملخص.....	1
منهج البحث والمصطلحات المستخدمة.....	8
II. "إنهم يذبحوننا": الناجون يتحدثون.....	11
انتشار الحملة.....	11
قوائم الإعدام.....	13
تعذيب وتهديد: "مجزرة في الطريق العام".....	17
III. الابتزاز والدولة: قصة نوري .....	24
IV. الذريعة والسياق: الهلع الأخلاقي والانتهازية السياسية.....	31
V. العائلة والنوع الاجتماعي و"الشرف" .....	37
VI. هجمات سابقة.....	42
VII. وضع اللاجئين.....	47
VIII. خاتمة.....	52
القانون الدولي.....	53
الحق في الحياة والأمان.....	53
الحماية من التعذيب والمعاملة الإنسانية والمهينة.....	54
عدم التمييز والحقوق الأساسية.....	55
الوصيات.....	56
المصطلحات المستخدمة.....	59
شكر وتنويه .....	61

## I. المقدمة

### ملخص

حامد شاب في الخامسة والثلاثين، أصيب بشلل جزئي في لسانه من فرط الفاجعة والحزن إثر مقتل شريكه عمداً في بغداد بعد أن دامت علاقتها عشر سنوات. وعندما قابلناه به بعد الحادث بثلاثة أسابيع، كان لا يزال يعاني من آثار ذلك الشلل، حيث كانت كلماته المترددة لا تكاد تخرج إلا بجهد شديد. كان بصحته صديقان أعاداه على الهروب من بغداد، وأضطروا جميعهم للاختباء وعدم الظهور طيلة هذه الفترة. وقال:

"كنا في وقت متأخر من الليل في أوائل إبريل/نيسان، وجاءوا فأخذوا شريك حياتي من منزل أبيه. اقتحم البيت أربعة رجال ملثمين يرتدون ملابس سوداء. طلبوه بالاسم وسبوه وأخذوه أمام أبيه. عرفت أنا كل هذا لاحقاً من أهله."

وجدوا جثته في الحي في اليوم التالي. كانوا قد ألقوا بها في القمامه. وكانوا قد استأصلوا أعضاءه التناسلية وانتزعوا جزءاً من حلقه. منذ ذلك الحين وأنا عاجز عن الكلام الطبيعي. أشعر أن حياتي الآن بلا معنى. ليس لدي أصدقاء غير الذين تراهم: منذ سنوات وأنا أعيش مع صديقي داخل شرنقة، وحدينا. ليس لدي أهل - لا أستطيع أن أعود إليهم - أما أنا فمحكوم علي بالقتل. أشعر أن أفضل اختيار أمامي هو الانتحار. يحترم الناس القتلة والتصوّص في العراق أكثر من المثلثين.

معيارهم الذي يحكمون على الناس به هو هوية من يقيم المرء معه علاقات جنسية. ليس الضمير والأخلاق ولا القيم، بل من يقيم معه المرء علاقة جنسية. أرخص شيء في العراق هو الإنسان، هو حياة الإنسان. أرخص من الحيوان، أرخص من بطاريتان فارغتان كالتي تشتريهما في الطريق. وعلى الأخص حياة الناس أمثالنا.

ثم انهمرت دموعه واستمر قائلاً:

لا أصدق أنتي جالس هنا أتحدث معك لأن كل شيء مكتوب، مكتوب، مكتوب. منذ سنوات وهذا حالـي - إذا سرت في الطريق شعرت بأن الجميع يشير إلىـي. كأنني أموت في كل لحظة. أما الآن، كل ما حدث في الشهر الماضي - لا أفهم ماذا فعلنا لنستحق كل هذا. يريدون إبادتنا. هذا الكم من العنف وهذا الكم من الكراهية: الناس الذين يعاونون منها لا يستحقونها.

يكفيـني يكفيـني أن أـستطـعت الحديث معـكم.<sup>1</sup>"

<sup>1</sup> لقاء لـ هيومن رايتس ووتش مع حامد (اسم مستعار) - العراق - 24 إبريل/نيسان 2009.

انتشرت حملة قتل في العراق في الشهور الأولى من عام 2009. ولا تزال العراق مكاناً خطيراً بالنسبة للكثيرين من مواطنها، إن لم يكن كلهم، إلا أن كتائب الإعدام بدأت في استهداف - تحديداً - الرجال ممن رأوه ناقصي "الرجلولة" أو من ارتايوها في ممارستهم للسلوك المثلثي. فأصبحت أتفه تفاصيل مظهر الرجل - طول شعره أو تفصيلة ملابسه - تحكم في حياته أو موته.

و عند كتابة هذا التقرير - يوليو/تموز 2009 - لا تزال الحملة تبلغ أقصى درجات الشرامة في بغداد، إلا إن آثارها الدامية امتدت لغيرها من المدن، حيث تعرض الرجال للاستهداف والتهديد والتذيب في كل من كركوك والنجف والبصرة. ويرتكب القتلة جرائم القتل العمد بمناجة من العقاب، بهدف التهديد والوعيد، حيث يلقون بالجثث في صناديق القمامنة أو يعلقونها في الطرق بهدف الردع. ينتهي القتلة حرمة البيوت، فيختطفون الأبناء والأخوة وفي اليوم التالي يلقون بهم جثثاً هامدة بالمنطقة التي يسكنون فيها.

يستحجب هؤلاء القتلة ضحاياهم ويعذبونهم لإجبارهم على البوح بأسماء آخرين من ممن يرتاب في إنهم يسلكون سلوكاً مثلياً. ويتقن هؤلاء القتلة في أبشع أنواع التعذيب المروع: حيث أفادنا عدة أطباء عن رجال أعدموهم عن طريق حقن المفعس داخل فتحة الشرج، وظهرت عشرات الجثث لهؤلاء الأشخاص في المستشفيات والمصارح. وغالباً لن نعرف أبداً عدد القتلى، حيث يجتمع عنصران: تقاعس السلطات عن التحقيق في هذه الجرائم، وذعر أسر القتلى وعارضهم، فيضمنان استحالة الوصول إلى أرقام وأعداد يعتد بها. أمّا أحد المسؤولين العالميين ببواطن الأمور فيبعثة الأمم المتحدة للمساعدة في العراق فقد أخبر "هيومن رايتس ووتش" في أبريل/نيسان إن عدد القتلى قد ارتفع غالباً حيث بلغ القتلى "المائتان".

وتظل الأسر المكلومة في حالة من الرعب والأسى إثرى مقتل ذويها. في مقال ينادي بتطهير المجتمع (الذي يفترض إنه مطلوب) لم تستطع الكاتبة تهميش الحزن والأسى الذي يصيب الأسر ولا إخفاءه:

تقول الأم البالغة من العمر 45 سنة أن مجموعة مسلحة دخلت دارها في زيونة قبل أسبوع واقتادوا ابنها من غرفته بينما لجمها مسلح بوضع مسدسه في فمه، وحبس زوجها المريض وهو ضابط جيش مقاعد، في حمام البيت... تبكي الأم وتقول إن ابنها ... كان رقيقاً وحساساً، درس في كلية الفنون الجميلة... أصدقاء الشاب تبخرموا وهي لا تعرف عنهم سوى أرقام هاتف موجود على بطاقة هاتف احتياط ترکها ولدها بين أغراضه الشخصية.<sup>2</sup>

ويردد الناس أوصافاً مختلفة للأشخاص الذين تستهدفهم تلك الحملة. ومعظم الرجال الذين التقت بهم "هيومن رايتس ووتش" يطلقون على أنفسهم صفة "جاي"، وهي كلمة إنجليزية شائعة جداً بمعنى "متّي" - إلا إن هذا اللفظ غالباً يظل غريباً على القتلة أنفسهم بل ورجل الشارع العراقي. فيrir الكثيرون تلك الجرائم بوصفهم لضحاياها بخليط متعدد من الألفاظ والتربيّات، كما يتغير وصفهم لهؤلاء الأشخاص الذين يكرهونهم فلا يثبت على حال - ولنا أن نستشف من هذا أن كتائب الإعدام تتحرك خوفاً من تخفيث العراق، حيث يفقد رجالها رجولتهم، جنباً إلى جنب مع خوفهم من وقوع الزنا بأنواعه. وكلمة "جرياوي" (وهي تعني صغار الكلاب) المستحدثة فيما يبدو، وهي شتمة عามية، تحمل إيحاءات عدم النضج إلى جانب نفي إنسانية هؤلاء الرجال. كما تنذرنا كل من وسائل الإعلام وأئمة المساجد من موجة

<sup>2</sup> "المختنون في بغداد: حرب "الجرياوي" و"الشيكالا": الأسبوعية - العدد 71 (16-10 مايو / أيار 2009).

تخفيث تجاه رجال العراق، ويذروننا من "الجنس الثالث". ويبدو إن جزءاً كبيراً من ذلك العنف يجري بداعي الذعر من "انحلال" أو "نعمومة" البعض بسبب سرعة التغيير الاجتماعي والاحتلال الأجنبي القائمين، فيعطي القاتلة أنفسهم حق التحكم في زyi الناس ومظهرهم بالإضافة إلى حياتهم الخاصة. فـأي رجل يتغطر أو يسير بأسلوب لا يرroc لقتلة يصير ضحية لهذه الحملة الضاربة.

ظهرت مؤخراً بعض الميليشيات التي يكتنفها الغموض تدعي أمام أجهزة الإعلام إنها مسؤولة عن بعض جرائم القتل العمد هذه، منها ميليشيا "أهل الحق". ولكن معظم الناس الذين التقى بهم "هيومن رايتس ووتش" يرون إن المسؤلية الأولى تقع على الجيش المهدى، المعروف أنها ميليشيا بقيادة مقتدى الصدر، كما أنه بدأ حملة القتل العمد للمثليين في أوائل عام 2009.

وباتت مدينة الصدر، المعروف أنها من قلاع الجيش المهدى - حيث تمتد في عشوائيات بغداد وتأخذ اسمها من الشهيد والد مقتدى الصدر - مركزاً لحملة قتل المثليين، وهو أمر له دلالته. كما صدرت تحذيرات بـلغة تثير الذعر عن الخطير المنتشر الذي يمثله "الجنس الثالث".

ظهرت ميليشيات العراق في أعقاب الانهيار الأمني الذي ترتب على الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية عام 2003 (سلطات الاحتلال الأمريكية تكافحها تارة، وتمنحها الرضا والمساندة الصامتة تارة). تتغذى هذه الميليشيات العراقية على الفقر واليأس، فتقوم بتجنيد الشباب الذين لا يرون لأنفسهم مستقبلاً إلا في العنف. وتعد هذه الميليشيات شبكات فضفاضة أكثر منها كيانات منضبطة، مما يجعل التوصل لأسماء أعضائها، ومحاسبة مرتكبي الجرائم باسمهم، مهمة صعبة في الكثير من الأحيان.<sup>3</sup> وهذا الكلام ينطبق بشكل خاص على الجيش المهدى، الذي انسحب انسحاباً استراتيجياً من الأنظار في بداية "الطفرة" الأمريكية في عام 2007، وبذلك تجنب الصدام مع القوات الأمريكية حيث تماهى أعضاء الميليشيا وسط الكثافة السكانية.

في لقاءاتهم معنا، استنتاج عدد من الأشخاص احتمالية أن الجيش المهدى - سعياً وراء بناء سمعته وإعادة صورته أمام الناس بعد طول غيابه - يرمي إلى تأهيل نفسه بأن يبدو محركاً للتغيير الاجتماعي. استغل الجيش الآداب والأخلاق لأسباب انتهازية، حيث سعى وراء الشعبية باستهداف فئة لا يجرؤ على الدفاع عنها إلا القليلون في العراق، ولا يغامرون باتخاذ صفعهم. وقال أحد "الجلادين" للصحافة في مايو/آيار الماضي أنه وزملاءه القاتلة يتصدرون "لمرض خطير في المجتمع أخذ ينتشر سريعاً بين الشباب بعدما أتى به الجنود الأمريكيين من الخارج. هذه ليست عادات العراق ولا عادات مجتمعنا وعلينا أن نتخلص منها." وأضاف - ويستشف من كلامه رد على الشكوى التي يرددوها الناس عن الميليشيات، ألا وهي أنهم منذ سنوات لم يأتوا لأهل العراق إلا بالعنف والفوضى - "ليس هدفاً قلقة الوضع الأمني بل هدفاً هو إرساء الاستقرار في المجتمع."<sup>4</sup>

<sup>3</sup> للمزيد من التفاصيل عن حياة مقتدى الصدر وعمليات الجيش المهدى وأسلوب عملهم، انظر كتاب: Patrick Cockburn, *Muqtada: Muqtada al-Sadr, the Shia Revival, and the Struggle for Iraq* (New York: Simon and Schuster, 2008).

<sup>4</sup> جاء ذلك في المقال التالي: Nizar Latif, "Iraqi 'Executioner' Defends Killing of Gay Men," *The National*, May 2, 2009 <http://www.thenational.ae/article/20090503/FOREIGN/705029847/100>

واطلعنا عليه في 29 مايو / أيار 2009. كما ادعى ذلك الشخص أنه كان من أعضاء الجيش المهدى "إنه الآن يعمل بشكل مستقل بعد أن حل الميليشيا رئيسها مقتدى الصدر." لكن الواقع أنه لم يُحل الميليشيا فقط، بل أصدر أوامر لها بالانسحاب عندما بدأت الطفرة الأمريكية. وتنظر هذه الميليشيا قوة معترفة بها ولها سلطتها داخل مدينة الصدر وخارجها.

إذا كان الهدف من هذه الجرائم هو الحصول على الشعبية، فلقد أنت - فيما يُحتمل - بنتيجة عكسية. حيث ضمت الأسر المكثومة عائلات من صلب المناطق المشجعة للجيش المهدى في مدينة الصدر، فلم تزداد صورته بريقاً. وفي أواخر مايو/أيار 2009، أشار متحدث باسم حزب الصدر في لقاء معه إلى عدة لفجاءات مستمرة مع الجمهور تقيمه تلك الميليشيا بهدف "مكافحة الانحلال وتحجيم المجتمع على رفض" السلوك المثلثي، لكنه أضاف إن "حزب الصدر يرفض" العنف، وإن "أي شخص يرتكب أعمال عنف تجاه المثليين لن نعتبره منا"<sup>5</sup>. ولكن في الوقت ذاته، ذكر قائد آخر من قادة حزب الصدر أن المثلية الجنسية "كارثة حلت بالمجتمع" مضيفاً أن " علينا تقويم سلوك الوطن"<sup>6</sup>. وفي نفس الوقت، بلغ "هيومن رايتس ووتش" شهادات توصي بأن الميليشيات السنوية في بعض المناطق بدأت تتضمن إلى حملة التهديدات والعنف، وقد يكون هذا من باب منافسة غيرهم.

أما عن قوات الشرطة العراقية فلم تفعل إلا القليل من حيث التحقيق في تلك المذابح أو وضع حد لها. لم تصدر أية بيانات من السلطات سواء عن القبض على الجناة أو محکمتهما، ومن غير المرجح أن يكون شيئاً من ذلك قد حدث. وعلى جهود الحكومة - التي حظيت باهتمام إعلامي كبير - في تطهير الوزارات من المسؤولين ذوي الصلات بجماعات الميليشيا، بما في ذلك وزارة الداخلية، يشك الكثير من العراقيين في مدى صدق نية هذه الحملة وفي نجاحها. أما أكثر الأمور إثارة للقلق فهو ما ورد لدى "هيومن رايتس ووتش" عن تواظر رجال الشرطة في تلك الانتهاكات، بدءاً من التحرش بالرجال الذين يصفونهم "بالنعومة" عند نقاط التفتيش، وانتهاءً - فيما يُحتمل - بالاختطاف والقتل خارج نطاق القضاء.

من المعروف والمؤكد أن رجال الشرطة يصرّحون لوسائل الإعلام بأخبار وروايات من شأنها الإيحاء بأن حملة القتل العمد نطاقة أضيق مما هو عليه بالفعل، ومحاولة إبعاد المسئولية عن فرق القتل التابعة للميليشيات وإلقاءها على عائق العنف الذي تمارسه الأسر والعشائر<sup>7</sup>. ونحن لا ننكر أن "الشرف" - بالإضافة إلى القيم الخاصة بالذكرة والطبيعة الجنسية والعار، التي يؤمن بها كل من النظام الأبوي والعشائر - يلعب بالفعل دوراً كبيراً في تفاقم التحيزات وتشجيع إلحاق الضرر بالناس، وهذا ما تقوم هيومن رايتس ووتش بتوثيقه في هذا التقرير. ولكن كل هذه العوامل لا تقلل من مسؤولية كاتب الإعدام ولا تنقص من ذنبهم، إذ باتوا المركب الرئيسي لتلك الجرائم. كما لا تقلل العوامل المذكورة من مسؤولية الدولة - التي لم توفي بها - في التحقيق في جميع جرائم القتل العمد ومقاضاة الجناة، وفي معاقبة من تثبت إدانتهم، وواجبهم في حماية حياة كل عراقي وحقوقه دون تمييز.

<sup>5</sup> الشیخ ودیع العربی، وورد کلامه فی مقال: "Iraq's Sadr Wants 'Depraved' Homosexuality Eradicated," AFP, May 29, 2009 .اطلعنا علیه فی 30 مايو/أيار 2009 <http://www.google.com/hostednews/afp/article/ALeqM5gyEDJh2jz2X-0cesB76vl6elJL6qQ>

<sup>6</sup> الشیخ داود الأنیزی - المصدر السابق.

<sup>7</sup> انظر على سبيل المثال مقال: Timothy Williams and Tareq Maher, "Iraq's Newly Open Gays Face Scorn and Murder," *New York Times*, April 7, 2009

<http://www.nytimes.com/2009/04/08/world/middleeast/08gay.html>

واطلعنا علیه فی 2 مايو/أيار 2009 :

"قال رئيس أحد أقسام الشرطة في مدينة الصدر... إن أفراد الأسرة هم غالباً من ارتكبوا معظم جرائم القتل بمدينة الصدر وهو من شأن كاتب الإعدام التي كانت يوماً لها علاقة بالجيش المهدى، وهي الميليشيا التي كانت تحكم في مدينة الصدر قبل أن تزحفهم القوات الأمريكية والعاشرة في الربيع الماضي. وقال : (توصلت ترباتنا إلى أن هذه الحوادث يرتكبها أقارب المثليين) ليس فقط بسبب الميليشيات. وهم يقتلونهم لأنهم عار على العائلة."

وسبق ونشرت "هيومن رايتس ووتش" التقارير حول عنف المتمردين ضد المدنيين في العراق، وما ترتب عن ذلك العنف من أزمة لاجئين، حيث اضطر مئات الآلاف من العراقيين النازحين لمغادرة بيوتهم وبلامهم. لا يزعم هذا التقرير إن الرجال المتهمنون "بالنعومة" أو بكونهم "متلين" أو "جاي" يواجهون عنةً أشد الآن من الذي عانى منه الكثير من العراقيين فيما مضى، إلا إن الطفرة الملحوظة في جرائم القتل هذا العام تشير إلى وجود مواطن عجز مستمرة، رغم أن الحكومة العراقية وقوى الانتلاف تهنان أنفسهما على ما يفترض أن إشاعة التهئة في المجتمع. لا تزال الجماعات المسلحة تتطلق في العراق تضطهد الناس وقتلهم بحرابة بناء على التحيزات والكراهية، ولا تزال الدولة تتركهم بمنجاة من العقاب. بل أن الهجمات على "الجنس الثالث" و"الجاي" قد تمت مجرد الجولة الأولى في حفلة مجده من حلقات القتل العمد وسفك الدماء على أيدي الميليشيات. هذه العودة إلى جرائم القتل أمر يدعو للقلق ويبعد جميع العراقيين، فيتحمّل الحكومة إعلان رفضها لهذه الظاهرة والعمل على إيقافها.

ويحذّس الكثيرون، سواء في مقابلاتهم مع "هيومن رايتس ووتش" أو في وسائل الإعلام، أن الحملة قامت بسبب فتوى أطلقها مقتدى الصدر أو غيره من الأئمة. كما صرّح شاب من مدينة الصدر لأحد الصحفيين أن " عمليات القتل ليست جرائمًا [ورد كذلك في الأصل] لأنها تقع تحت مظلة فتوى شرعية صدرت مؤخرًا بغضّ إباحتها".<sup>8</sup>

لم تجد هيومن رايتس ووتش أي دليل على صدور أي فتواوى صريحة مؤخرًا بهذا المعنى. بل إن الواقع أن أحداث القتل تنتهك الأحكام والمعايير الإجرائية لقوانين الشريعة. فرغم أن المذهب الجعفري الشرعي، شأنه من شأن المذاهب الأربع للشريعة السننية، تحرم السلوك المثلٰ ما بين الرجال، ويطلق عليه اللواط، أما العقاب لمن ثبت عليه ممارسة اللواط قد تكون إقامة الحد، ويصل هذا الحد في بعض الظروف إلى الإعدام، وقد تكون تحذير، وأقصاه الإعدام وأخفه هو الإنذار، ورغم كل هذا كما قلنا فمن أهم الأمور التي يجب التأكيد عليها أن المذهب الجعفري في الحالتين يضع شروطًا لا غنى عن استيفائها قبل فرض أي عقوبة أيًا كانت. وهذه الشروط تعد أشكالاً من الحماية للخصوصية ولسمعة الناس كما تحول دون المحاكمات التعسفية.

وتخصّنا أربعة شروط في هذا الحديث:

- يتطلّب المذهب شروط صعبة الاستيفاء للإثبات، فلا يجوز إثبات ممارسة اللواط إلا عن طريق: إما اعتراف يكرره الشخص أربع مرات<sup>9</sup> أو بشهادة بينة من أربعة شهود من الذكور أو بعلم الحاكم، أي أن يكون قد شهد هذه الأفعال بنفسه. وإذا ثبت بنطلان تهمة اللواط، فيخضع من وجهاها هذه التهمة هم بدورهم لتهمة القذف.<sup>10</sup>
- على القاضي التأكيد من أن المتهم بالغ عاقل وتصرف من محض إرادته.<sup>11</sup>

<sup>8</sup> سعنون محسن ضمد - "أوردها سعد" ، الرافدين ت 11 مايو / أيار 2009.

[http://www.alrafidayn.com/index.php?option=com\\_content&view=article&id=7554:2009-05-11-09-30-02&catid=7:opinion&Itemid=52](http://www.alrafidayn.com/index.php?option=com_content&view=article&id=7554:2009-05-11-09-30-02&catid=7:opinion&Itemid=52)

<sup>9</sup> الحر العامل (توفي عام 1693 ) وسائل الشيعة إلى تسهيل أحكام الشريعة (بيروت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1993) المجلد 28، أبواب حد اللواط.

<sup>10</sup> نفس المصدر، الأحاديث 33451 و 34453 و 34454.

<sup>11</sup> كما يحظر بعض قضاة المذهب الجعفري حكم الإعدام في حالات اللواط على المتزوجين فقط. ولكن الرؤية السائدة في ذلك المذهب ترفض هذا القيد. شيخ الطائفة الطوسي (توفي عام 1068)، تهذيب الأحكام في شرح المقنع للشيخ المفيد. النجف: دار الكتب الإسلامية، 1958، المجلد

- على القاضي التقصي في إذا ما كانت الأفعال المريبة (اقتسم الفراش مثلاً) حدثت بداعي الضرورة، مثل ضيق المساحة.<sup>12</sup>
- لا يجوز إصدار العقوبة إلا من فقيه متخصص في أحكام الشريعة.<sup>13</sup>

ولكي يقام الحد، لا غنى عن ثلاثة اختبارات إضافية:

- لا غنى عن إثبات وقوع الإيلاج، فلا يجوز إقامة الحد للأفعال التي لا تتضمن الاحتراف. (ويسمى هذا معيار العقاب).
- لا بد من التخلص من أدني شك، وذلك طبقاً للمبدأ القانوني "درء الحد بالشبهة" والفقهاء الجعفريين، في كتاباتهم عن حد اللواط، يؤكدون أنه "لا حد مع الاحتمال".<sup>14</sup> ومما يُبلي الحكم فوراً وجود أدني شك في حُلُق الشهدوَن الذين يُزعم أنهم شاهدوا الواقعَة، أو أي اختلافات في شهادتهم.
- لا بد من إعطاء المتهم فرصة التوبة، ويمكن أن تحول التوبة دون حكم الإعدام.<sup>15</sup>

حالات القتل التعسفية تنتهي ما وضعه الإسلام من حدود، حالات الإعدام الفورية بدون محاكمة على أساس الشائعات والمصحوبة بالتعذيب، على أيدي العصابات المسلحة - كل هذا ينتهك المعايير والضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية والتي تتضمن سلامة الأدلة والشرعية والعدل.

كما ينتهي مثل هذا القتل التعسفي مبادئ حقوق الإنسان. يكفل قانون حقوق الإنسان الدولي حق الخصوصية، بما في ذلك الحق في حياة لا تتعرض عليها المراقبة ولا العنف. يكفل القانون كذلك الحق في حرية التعبير، بما في ذلك الحق في التعبير عن الكيان الإنساني من خلال الزي والسلوك. يحظر القانون - تحت أي ظرف من الظروف - التعذيب

<sup>12</sup> العاشر من باب الحدود في اللواط ، الأحاديث 3/194 و 9/200 و 10/201، الحر العاملِي ، وسائل الشيعة إلى تسهيل أحكام الشريعة (بيروت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1993)

<sup>13</sup> شيخ الطائفة الطوسي (تهذيب الأحكام) المجلد العاشر من باب الحدود في اللواط ، الحديث 16/207 و الحر العاملِي ، وسائل الشيعة إلى تسهيل أحكام الشريعة (بيروت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1993) المجلد 28، أبواب حد اللواط. عنوان الفصل والحديث (34465 )

<sup>14</sup> وفي هذا المعنى، يؤكد آية الله روح الله خومياني، في ما كتبه عن ولاية الفقيه، أن الحدود لا يجوز أن يقيمه إلا إمام أو فقيه متخصص في أحكام الشريعة. أما الفقهاء السنّيين فيفرضون الشرط ذاتها في الأساس بخصوص إثبات التهمة التي يفرضها المذهب الجعفري. ولكن، رغم أن معظم رؤى الشيعة عن السلطة السياسية، أي نظرياتهم عن من تُقلّل له سلطة تطبيق القوانين، تضع الصورة التقليدية للإمام نصب أعينهم باعتبارها النموذج الأمثل، تختلف النظرية السنّية حيث تتعامل مع نماذج أخرى لاستقاء الحكومة الشرعية منها، ومن هذه النماذج "التعاقد" و"الضرورة". انظر مثلاً (1982) *Hamid Enayat, Modern Islamic Political Thought* (London: Macmillan)، وبإضافة إلى ذلك، لا يتطلب الفقهاء السنّيين إلا شاهدين لإثبات اللواط، على عكس الأربعة الذين يفرضهم المذهب الجعفري، إذ لا يتطلب الفقهاء السنّيون أربعة شهود إلا في إثبات الزنا.

<sup>15</sup> المحقق الحلي (توفي 1277) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام. بيروت دار العدوي، 1982 / 1403، المجلد الرابع ص 933 و ص 944.

<sup>16</sup> ورد في شيخ الطائفة الطوسي ، تهذيب الأحكام المجلد العاشر من باب الحدود في اللواط ، الحديث 7/198، أن أمير المؤمنين الإمام علي استقبل رجلاً اعترف ثلاث مرات بممارسة اللواط. وبعد اعترافه الرابع، انتهى أمير المؤمنين بإخباره أن حد الموت وجب عليه. ولكن الرجل تاب فبكى الإمام علي وأطلق سراحه، وقال له أن توبته جعلت الملائكة هم الآخرين يبكون.

أما المذهب الحنفي في الفقه السنّي يضيف قيّداً آخر، حيث لا يجوز فرض حد الإعدام على الإيلاج الشرجي ما بين الذكور إلا في الحالات التي أصبح فيها اللواط عادة، على عكس الأفعال التي لا تحدث إلا مرة واحدة. ابن عابدين (توفي عام 1836)، رد المحتار على الدر المختار، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1987، المجلد الثالث، ص 155 و 156.

وجميع أشكال المعاملة اللا إنسانية بأنواعها كما يكفل القانون الحق في الحياة، بما في ذلك حق الحماية الكافية من جانب الدولة.

على قيادات العراق الدفاع عن شعبها بلا استثناء. يجب على الدولة العراقية التخلص من صمتها، والشروع فوراً في التحقيق بشكل وافي في مقتل الأشخاص عمداً وتعذيبهم بسبب عدم انطباق معايير "الرجلولة" السائدة عليهم، أو بسبب سلوكهم المثلي جنسياً. كما على الدولة إلزام العقاب المناسب بمن ثبتت عليهم التهمة، وعليها اتخاذ خطوات فعالة لمنع الميليشيات من ممارسة العنف، بشكل يتناسب مع واجباتها نحو حقوق الإنسان التي تعهدت بها. يتمنى على الحكومة الاستغناء عن خدمات كل شرطيٍّ ومسؤول جنائيٍّ من ثبتت عليهم تهمة انتهاك حقوق الإنسان أو ممن كانت له صلات في الماضي بكتائب الإعدام أو قوات الميليشيا. كما يتمنى على الحكومة فحص جميع رجال الشرطة وقوات الأمن ونظام العدالة الجنائية وتذريبيهم، وضمان أن تشمل التدريبات شؤون التوجه الجنسي والنوع الاجتماعي. أما على المدى الطويل فعلى حكومة العراق أن ترسّي دعائم سيادة القانون وتحميها، لتأمين كل فرد من شعب العراق من أي عقاب خارج نطاق القانون يمارسه مسلّحون ينفذون قوانين تحيزاتهم وكراهيتهم الخاصة بهم.

يجب على الولايات المتحدة، وعلى القوى الدولية التي تترأسها الولايات المتحدة، إعادة حكومة العراق كلما أمكن ذلك على التحقيق في تلك الجرائم. كما يجب على هذه القوات وضع حد لعملية الاعتقال التعسفي لمن يُرتاب في انتقامتهم للميليشيات، وتوفير الخدمات المناسبة للمحتجزين الذين أفرج عنهم لمساعدتهم على العودة إلى المجتمع ولضمان عدم عودتهم للعنف.<sup>16</sup>

وأخيراً، حيث اضطر عدد من العراقيين من استهدافهم حملات القتل إلى الفرار من البلاد، على المجتمع الدولي أن يدرك مدى التهديدات والمخاطر التي يواجهها العراقيون والعرقيات المثليين والمثليات ومزدوجو ومزدوجات الميل المثلية ومتحولو ومتحولات الجنس أو النوع الاجتماعي، ليس فقط في العراق، بل أيضاً في الدول المحيطة بهم التي ينشدون فيها اللجوء الأول. والموثق في هذا التقرير إن جميع هذه الدول تقرّبًا تجرّم السلوك المثلي الذي يتم برضاء الطرفين، كما أن المناخ الاجتماعي في هذا البلد أن يتميز بالتحيز الشديد ضد هذه الفئات.

يجب أن يولي كل من المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين والمجتمع الدولي الأهمية لإعادة التوطين العاجل لهؤلاء الأشخاص المعرضين للخطر في دول ثالثة آمنة بالنسبة لهم أو إذا اقتضى الأمر الإسراع بتنفيذ عملية التوطين المذكورة.

<sup>16</sup> في الشهور الماضية، قامت الولايات المتحدة، وكذلك الائتلاف الذي ترأسته الولايات المتحدة، بالإفراج السريع عن كانوا قد احتجزوا بشكل تعسفي أثناء الظرف، بينما لم يقدموا، فيما يبدو أية خدمات ولا مساندات تذكر لضمان عدم عودة الناس إلى العنف. وفي أوج الظرف، كانت الولايات المتحدة تحتجز أكثر من 26 ألف سجينًا في معسكر يوكا بالقرب من الحدود الكويتية، وبحلول مارس/آذار 2009، كان هذا الرقم انخفض حيث بلغ عدد المحتجزين فيما ورد عشرة آلاف شخصاً. انظر Anthony Shadid, "In Iraq, Chaos Feared as U.S. Closes Prison," *Washington Post*, March 22, 2009 ونرى إن عملية الاحتجاز التعسفي تتقوض أية جهة مبدولة للنهوض بسيادة القانون في العراق. أما إذا تخلى كل من سلطات الائتلاف والحكومة العراقية عن أية مسؤولية تذكر في مساعدة المحتجزين على إعادة الاندماج في المجتمع بعد الأفراج عنهم، فهذه العملية تحمل أيضًا أخطار تشجيع عودة ظهور عنف الميليشيات.

## منهج البحث والمصطلحات المستخدمة

هذا التقرير مبني على دراسة وبحث أجرتها كل من رشا مومنه، الباحثة في قسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من هيومن رايتس ووتش، وسكوت لونغ، مدير برنامج حقوق المثليين والمثليات وزوجو ومزدوجات الميول الجنسية ومتحولو ومتحوّلات الجنس أو النوع الاجتماعي في هيومن رايتس ووتش، وذلك في العراق في الفترة ما بين 14 و 28 أبريل/نيسان 2009.

وخلال هذه الرحلة أجرينا مقابلات شخصية وجهاً لوجه مع اثنين وعشرين رجلاً عراقياً، وحكوا لنا عمّا تعرّضوا له من تهديدات بالقتل واحتطاف ومحاولات اغتيال وغير ذلك من ألوان الاضطهاد. كما أجرينا مقابلات ومحادثات مع 24 رجلاً عراقياً غير المذكورين أعلاه عن طريق الهاتف والبريد الإلكتروني و"التلشات" (برامج الدردشة) الإلكتروني. وأجرى سكوت لونغ مقابلات مع ثمانى رجال إضافيين في بيروت في يوليو/تموز 2009، طلب جميع من التقينا بهم مئاً عدم ذكر أسماءهم الحقيقية، وكذلك حرصنا على عدم الإفصاح عن الأماكن التي أجرينا فيها اللقاءات بالعراق (وخارج العراق في بعض الحالات) لضمان سلامه هؤلاء الأشخاص وغيرهم. كما أجرت "هيومن رايتس ووتش" اللقاءات مع ناشطي حقوق الإنسان في العراق، إلى جانب الأطباء والصحفيين أثناء عملية البحث.

جميع الناجين من عنف الميليشيات الذين التقينا بهم لكتابه هذا البحث وصفوا أنفسهم بكلمة "جاي" ذات الأصل الإنجليزي، فيستلزم هذا الأمر وقفة للإيضاح ولفحص المسائل المتعلقة بالمصطلحات وبالهوية. جدير بالذكر أولاً أن استخدام كلمة "جاي" الإنجليزية لتعود على الرجال الذين يقيمون العلاقات العاطفية والجسدية مع أمثالهم من الرجال يُعتبر استخداماً حديثاً نسبياً، حيث ينبع من ثقافة فرعية نشأت في أمريكا الشمالية في النصف الثاني من القرن العشرين. (كما يجب ألا ننسى إن كلمة homosexual في اللغات الأوروبية والتي تترجمها بالمثلية، ليست أقدم منها بكثير، حيث ابتكرها طبيب نمساوي مجري عام 1869).

أخبرنا جميع الناجين أنهم سمعوا كلمة "جاي" لأول مرة بتلك الدلاله بعد الغزو الأمريكي عام 2003. كما قال الكثيرون أن الكلمة وردت إلى العراق من خلال الإنترن特 أو الإعلام الغربي، على الأخص البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية. ونجد الكلمة تعبر الحدود الطبقية، فوصف طبيب نفسه بها وكذلك شاب لم يكمل تعليمه المدرسي على حد سواء، كما استخدموها بسلاسة كجزء لا يتجزأ من حديثهم وحملهم العربية.

أما لفظ "مثلي" وجمعه "مثليين" الذي استحدث مؤخراً باللغة العربية كترجمة لكلمة homosexual الإنجليزية فيتسم بالحيادية، ولا يتضمن إدانة، فلم يلق رواجاً واسع النطاق في العراق. وقال لنا معظمهم - من سمعوا اللفظ من ذي قبل - إنه نادر الاستخدام.<sup>17</sup> قال لنا عامل مستشفى من المثليين : "كلنا نستخدم كلمة "جاي" بين بعضنا البعض، وليس

<sup>17</sup> رغم ذلك - وبألا غرابة - اثنان من قابليناهم أخبرونا أن القلة أنفسهم استخدمو ذلك اللفظ. ظهر مرّة في مدينة الصدر بأحد الملصقات التي تندّي بالعقاب الإلهي على "المثليين" : لقاء أجرته هيومن رايتس ووتش مع فادي (اسم مستعار) - العراق، 18 أبريل/نيسان 2009. أما في حالة أخرى فأشار الناس أن ظهرت جنة ملقة بقرب الصدر "وقد قطعوا في ظهره بحروف غائرة كلمة (مثليين). ما أغرب ذلك إذ إن تلك هي الكلمة الائنة اجتماعياً! لم أسمع الكلمة أبداً قبل ذلك الحين". لقاء أجرته هيومن رايتس ووتش مع حسين (اسم مستعار) - العراق، 23 أبريل/نيسان 2009. تشير جميع الدلائل إلى أن القلة درسوا ضحاياهم بدقة، لدرجة الدخول إلى الواقع المثلية بالإنترنت والاستجابة للإعلانات الشخصية والإيقاع بالرجال من خلال تلك الصفحات - فيبدو فيما يحتمل إن قاموسهم طرأ عليه بعض التنوّع خلال رحلة البحث!

"مثلي" أبداً. وحتى الأطباء في حديثهم بين بعضهم البعض لا يستخدمون اللفظ العربي، بل أحياناً يقولون كلمة "هوموسكشوال" الإنجليزية.<sup>18</sup>

من المهم إلى أبعد حد التأكيد على نقطتين. أولهما هو كون أن مصدر الكلمة يأتي من خارج حدود البلد لا يعني بأي حال من الأحوال أن الظاهرة التي تصفها الكلمة بها أي جانب أجنبي أو دخيل على الإطلاق. بل إن السلوك الذي نطق عليه صفة "المثلية" – ألا وهو الرغبات والأفعال الحميمة والعلاقات العاطفية بين أبناء (أو بنات) نفس النوع من ذكر أو أنثى موجود منذ بدء الخليقة في المجتمع العراقي، شأنه في ذلك شأن جميع المجتمعات البشرية. وبذلك، ليست الألفاظ أو التسميات الجديدة إلا نقلة في القاموس والمفردات وليس في الأفعال ولا التصرفات.

ولكننا في نفس الوقت يجب ألا نفترض أن الكلمة لديها نفس الدلالات في العراق التي تحملها في غيرها من البلدان، فليس معنى أن السلوك المثلية يحدث في كل مكان أن الناس يفسرون نفس التفسير وأنهم يسدون إلى نفس المعاني الفردية أو الجماعية. وسبق أن كتبت هيومن رايتس ووتش إزاء هذا الأمر:

"لا يخل المجتمع أو التراث أبداً هوية ما على أي شخص كان - هوية "الابن" أو "رئيس القبيلة" على سبيل المثال - بشكل نقى وغير ممزوج بعناصر أخرى بل دائمًا تكتسب تلك الهوية عدة معانٍ شخصية وداخلية، إلى جانب ظلال من المحيط الاجتماعي واللحظة التاريخية. وعلى غرار ذلك، نجد أن الأشخاص الذين يرون أنفسهم في الألقاب من أمثل "هوموسكشوال" أو "جاي" أو "لزبيان" وما إلى ذلك، هذه المصطلحات جديدة على تفافتهم، لا يتبنون مجموعة مستوردة من التداعيات والمعاني برمتها، بل يحوّلون هذه المصطلحات ويوقفونها وأوضاعهم وتراثهم الثقافي."<sup>19</sup>

عندما أجرينا مقابلات مع المثليين العراقيين، استشفينا من كلام الكثيرين منهم إن روئيتم لأنفسهم كـ "جاي" لا تتعلق فقط بمن يحبونه ولكن - بنفس القدر - بقدر "الذكرة" أو "الأنوثة" الذي يرونوه في أنفسهم. مقابليس الذكرة والأنوثة - المعروفة غالباً النوع الاجتماعي، وهو المجموعة المتراكمة من الفروق التي تفرضها المجتمعات والثقافات لرسم الخطوط الفاصلة ما بين التصرفات اللافقة اجتماعياً للرجال والنساء - تمثل محور من المحاور الهامة التي يقيمون عليه فهمهم لذواتهم.

كما أن النوع الاجتماعي من أهم العناصر التي تساعدها على فهم الدافع المحرك لحملة العنف الفاشمة. ومما له دلالته أن ننظر إلى الألفاظ التي يستخدمها كل من الإعلام العراقي والعديد من رجال الطريق في التعبير عن استنكارهم للأشخاص الذين يصفون أنفسهم بـ "جاي". فالبعض من هذه الألفاظ تعبر عن الاستنكار الأخلاقي بناءً على سلوكيات بعضها : كلمة "لوطى" مثلاً، أو "قوم لوط" والتي وردت في القرآن الكريم، أما الآن فتستخدم للإشارة لمن يمارسون اللواط.<sup>20</sup> لكن شتائم أخرى سوقية الطابع تتعلق بما إذا كان الرجل تبدو عليه "الرجلة". وقال أحدهم: "رجال

<sup>18</sup> لقاء لـ هيومن رايتس ووتش مع هيثم (اسم مستعار) - العراق - 18 أبريل/نيسان 2009.

<sup>19</sup> *More than a Name: State-Sponsored Homophobia and Its Consequences in Southern Africa*

تقرير أصدرته هيومن رايتس ووتش والمفوضية الدولية لحقوق المثليين والمثليات، 2003 ص 8

<sup>20</sup> ولكن حتى هذه المصطلحات نجد فيها فروق متصلة في تاريخها ومبنية على النوع الاجتماعي، حيث تفصل بين من يمارسون دور "الذكر" ودور "الأخرى" في الأوضاع والمارسات الجنسية. وقال أحد الباحثين التاريخيين إن "كان مصطلح "لوطى" غالباً يستخدم في وصف [الطرف الإيجابي] في الجنس ما بين الرجال أما كلمات "محنة" و"مبون" [في الحديث العامي] "عائق" فكانت مقصورة على

الشرطة في نقاط التفتيش يسبون لنا مشاكل دومًا بسبب ما نرتديه من ملابس ومجوهرات من سلاسل وخواتم وما إلى ذلك، ويقولون لنا يا "كiki" - وتشير الكلمة إلى الأشخاص النواعم المخنثين.<sup>21</sup> وشاعت فكرة بعينها بشكل رهيب، ألا وهي أن المثليين الجنسيين ليسوا فقط أناسًا لهم ميول جنسية معينة، بل باتوا "جنسًا ثالثًا" يهدد الجنسين المعروفين.

وإحدى المقالات الصحفية تضمن الإشادة بالقتلة بقولها: "لابد من نقل تراث المعتقدات المتوارثة عن الرجلة والأخلاق التي تميز الشعب العراقي. وهذه المثل ضد تأثير الشباب ووضع [الرجال] للمساحيق، والتي انتشرت بين العديد من الشباب العراقيين فأثارت الاشمئاز".<sup>22</sup> يفرض القتلة العاديين معاييرهم للرجلة تحت تهديد السلاح، ويعطون أنفسهم حق التحكم في ملبس الناس ومظهرهم بالإضافة إلى التحكم في حياتهم الخاصة، فالرجال إذا وضعوا العطور أو ساروا بأسلوب لا يروق للمعذبين يسقطون ضحايا لهذه الحملة.

ولا يفصح الذعر من "تأثير" الرجال إلا عن كراهية النساء. فلا يجب أن يُقتل أي شخص لوضعه الألوان فوق عينيه، ولا يجب أن يعرض أي أحد للاعتداء عليه وتشويه جسده بسبب مشيته ولا أسلوب تصفييف شعر رأسه. فهذه الحملة تهدد حرية التعبير عن النفس - من خلال الزي والمظهر والهيئة - بقدر ما تهدد سلامة الجسد وحماية الحياة الخاصة. وهذه الحقوق كلها لا غنى عنها لحفظ كرامة الأفراد.<sup>23</sup>

وسنورد في نهاية هذا التقرير شرح بعض المصطلحات الأساسية المستخدمة.

---

[الطرف السلبي]. وهذه نقطة تستحق التركيز عليها، لأن الباحثين في العصر الحديث يصرّون على الميل إلى إغفال هذا الفارق وعلى ترجمة المصطلح الأصيل "لوطي" بكلمة homosexual والشريعة ترى أن "اللوطي" هو من يمارس اللواط... بصرف النظر عما إذا كان دوره سلبياً أم إيجابياً، ولكن في اللغة العادية غير المتخصصة... كان مصطلح "اللوطي" يشير بشكل شبه دائم إلى [الشخص] الذين يرى الناس أنه يقوم على النكاح الشرجي الإيجابي الذي يقوم بالإيلاج. Khaled al-Rouayheb, *Before Homosexuality in the Arab-Islamic World, 1500-1800*, p 16 (Chicago: University of Chicago Press, 2005).

<sup>21</sup> لقاء لـ هيومن رايتس ووتش مع هيثم - العراق، 18 ابريل/نيسان 2009.

<sup>22</sup> صباح محسن كاظم: "تأثير الشباب: التشخيص والعلاج" الصباح - 7 مايو / ايار 2009.

<sup>23</sup> كما يعترف قانون الإنسان الدولي بأن القيد الاجتماعية التي تفرض شروطًا على التصرفات المسموحة للنساء والرجال تعد أحد مصادر انتهاكات حقوق. تنادي اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، في مادتها الخامسة، أن على الدول الأطراف "تغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة، بهدف تحقيق القضاء على التحيزات والعادات العرفية وكل الممارسات الأخرى القائمة على الاعتقاد بكون أي من الجنسين أدنى أو أعلى من الآخر، أو على أنوار نمطية للرجل والمرأة".

## II. "إنهم يذبحوننا": الناجون يتحدثون

### انتشار الحملة

ازدادت قوة حملة القتل المنظمة بشكل تدريجي في الشهور الأولى من عام 2009.

منذ ما يناهز خمس سنوات والمليشيا تشن الهجمات على من يبدون "ناعمين" أو من يشكون في ممارستهم للعلاقات الحميمة مع أبناء نفس الجنس، ولكن المقابلات التي أجريناها شهد فيها الناس على أن هذه الهجمات شهدت تكثيفاً جديداً إلى حد بعيد في هذا العام، حيث اتسع نطاق حملة القتل ومداها، وبات هدفها فرض شريعة أخلاقية معينة - وما هي في الحقيقة إلا انحراف وحشي عن الأخلاق الحقيقية - من خلال القتل العمد.

إدريس من أصدقاء حامد، وهو شاب في عمر الخامسة والثلاثين، وله علاقات مع غيره من الرجال لكنه متزوج وله أبناء. وقال لـ هيومن رايتس ووتش في أبريل/نيسان:

"نحن نسمع عن هذا، عن قتل الرجال "الجاي"، منذ أكثر من شهر. والموضوع أصبح الآن مثل الخلفية التي نسمعها كل يوم. ففي فبراير/شباط بدأ انتشار القصص حول تلك الحملة ضد "الجاي" التي يمارسها الجيش المهدى: فالكل كان يتحدث عنها. كنت اسمع أخبارها من أصدقائي الذين يهونن النساء. في المقهى في كرادة كانوا يتحدثون عن ذلك في شوارع الحراثية، كانوا يتحدثون عنها. في البداية لم أفلق. فأتا وأصدقائي سكنا في منتهي "الرجلولة" ولا تبدو علينا أية صفات "أنثوية" مرئية. ولم نصدق أحدهنا يوماً، أن هذه الأحداث ستتمسّنا. لكننا سمعنا في أواخر مارس/آذار أن ثلاثة شخاص قد قتلوا بالفعل".<sup>24</sup>

بلال (27 عاماً) يائع متغول في شوارع منطقة كراده ببغداد أخبرنا أنه شعر بجو من الخطر المتزايد لأول مرة عندما "قتلوا صديقاً لي منذ ثلاثة أشهر":

كان معناً، فالكل كان يعرف إنه "جاي". وقالت أسرته أن القتلة صوروا قتله على CD - صورها وسجلوها. ذبحوه ذبحاً ودقوا عنقه. أسرته لم ترغب في التحدث عن الأمر. أما الآن فيقتلون الناس يميناً ويساراً في الشعب والثورة. سمعنا أنهم حرقوا إحدى عشر رجلاً أحياء بالثورة. فعدد القتلى على كل لسان، ولا يزال العدد مستمراً في الازدياد.<sup>25</sup>

أخبرنا حسين، شاب في السابعة والعشرين من حي المنصور ببغداد، أن في الشهور الأولى من ذلك العام، انتشرت عمليات العنف فانتقلت من هدف إلى هدف، وكأنما معها قائمة بالسمات التي يُفرض إنها تدل على عدم الالتزام بالأعراف المعهودة فاؤلاً "كانوا يلاحقون أصحاب الشعر الطويل، فانطلق الشباب وقصوا شعرهم جميعاً. هذدوا أحد

<sup>24</sup> مقابلة لـ هيومن رايتس ووتش مع إدريس (اسم مستعار) - العراق - 24 أبريل/نيسان 2009.

<sup>25</sup> مقابلة لـ هيومن رايتس ووتش مع بلال (اسم مستعار) - العراق - 20 أبريل/نيسان 2009.

أصدقائي ذا شعر طويل، وكان يسكن في حيّ شيعي - أبو دشير بجانب الدورة. وجاءه رجل في الشارع وقال له:  
"قصّ شعرك ولا قطعنا رقبتك":

ثم بدأت الأقاويل، فشاع أن بعض الرجال يضعون الفوط الصحية لكي تبدو مؤخراتهم مكورةً مدورّة - فبات أي شخص يرتدي الجينز الضيق مستهدفاً. ثم سمعنا إن "التي شيرت" الضيق يعني أنك من الجنس الثالث.

في الفترة الأولى، لم يقتل إلا قاطني الأحياء الشعبية - الحرية والبداء ومدينة الصرد. لكن الأمر تغير فمثلاً في حي الجامعة الذي أقطنه، منذ ثلاثة أيام وجدوا جثة شاب "جاي" مقطوع الرأس. وكان الحديث الشائع عنه في الحي إنه "جاي"، وانتشرت هذه القصة كالنار في الهشيم. إنه حي سنّي - لكن أسلوبهم الآن، فيما يبذلو، هو أنهم يدخلون إلى حيّ ما، ويختطفون الشخص، ويأخذونه إلى الصرد، ويعذبونه ويقتلونه. ثم يلقون بالجثة في الصرد، أو يعودون ويلقونها في الحي الذي يسكن فيه.<sup>26</sup>

طارق، وهو شاب في الثامنة عشرة، يقطن بغداد الجديدة، وهو حيّ سكني جديد في جنوب شرق المدينة، قال لـ هيومن رايتس ووتش:

"في أواخر مارس/آذار، بدأت أسمع من أصدقائي أن الجيش المهدى يقتل "الجاي". بدأت الصحف أيضًا في كتابة أخبار ازدياد أعداد "الجنس الثالث" في العراق، والمعروف أيضًا باسم "الجرياوي". ثم يوم 4 أبريل/نيسان، جاءني خبر مقتل اثنين من أصدقائي "الجاي"، محمد ومازن. أظن أن هذه أسماؤهم: داخل مجموعات "الجاي" يندر أن يلوح أحد باسمه الحقيقي. كنا أصدقاء - كنا نلتقي في المقاهي أو ندردش على الإنترن特 - وفي يوم اختفوا. بعدها بعدها أيام، قابلت أخو أحدهما وأخبرني بمقتلهم. اختطفهم من الطريق العام ثم وجدوا جثثهم بالقرب من أحد الجوامع وعليها آثار تعذيب. كان أحدهم في الثامنة عشر والأخر في التاسعة عشر."

بعد ذلك بيومين في السادس أو السابع من أبريل/نيسان، كنت في منزل أبي وأمي، ورمي أحدهم رسالة في الباب لم أر من ألقاها. كان مظروفاً بداخله رصاصة. كانت ملطة بالدم البني اللون، وقالت الرسالة: "لماذا لا تزال هنا؟ هل أنت مستعد للموت؟"

اعتقد أنهم عذبوا هذين الاثنين فأجبروهم على إعطائهم اسمى، لأنني تلقيت هذا التهديد بعدما علمت بمقتلهم بيومين... تحدثت تليفونياً مع صديق لي مساء أمس. هو "جاي" أيضًا لكنه في منتهى الرجلة ولا أحد يعرف أمره. قال لي: "اهرب إن استطعت وإنقذ نفسك، فهم يذبحون الناس في كل مكان".

<sup>26</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع حسين (اسم مستعار) - العراق - 23 أبريل/نيسان 2009.

سألته: "من في اعتقادك يفعل هذا؟" ورد: "ومن تظن؟ الجيش المهدى. الكل يعرفون ذلك."<sup>27</sup>

طلال (21 عاماً) يسكن منطقة على حدود مدينة الصدر. قال لـ هيومن رايتس ووتش: سمعت الناس في الحي يتحدثون عن هذه القضية، وأن أمثال هؤلاء الأشخاص يجب قتلهم. ثم سمعت من أصدقائي في مارس/آذار أن الجيش المهدى كان بالفعل قد قتل خمساً وعشرين شخصاً بمدينة الصدر. وفي المثلث [منطقة أخرى في شرق بغداد] ثلاثة عشر شخصاً. وفي شارع فلسطين، عشرة.<sup>28</sup>

عاطف (27 عاماً) يقطن منطقة الزيتونة ببغداد، لكنه فر من هناك واتجه إلى شمالي العراق في بداية أبريل/نيسان. "أتصل هنفياً بالناس في بغداد ويقولون لي: لا تعود، فهم يُقتلوننا؛ يُقتلون "الجاي" هنا."<sup>29</sup>

### قواعد الإعدام

قال لنا حامد - الذي سبق وعرّفنا كيف اختطف رجال الميليشيا المسلحة صديقه وذبحوه:

في نفس الأيام التي قُتل فيها شريك حياتي، قتلوا (أي رجال الميليشيات) ثلاثة رجال آخرين كلهم على بعد عدة شوارع من بعضهم البعض، بالحرية، بجوار الكاظمية وهو حي متدني جداً. أخذوا اثنين من بيوتهم، وكان صديقي منهم، وقتلوا اثنين آخرين في عرض الطريق.

وفي اليوم التالي - بعد قتلهم لصديقي - جاءوا ليأخذوني. دخلوا بيتي ورأوا أمي، وسألها أحدهم: "أين ابنك المختبئ؟" وكانوا خمسة ملثمين. لحسن الحظ لم أكن بالبيت، لكن أمي اتصلت بي بعد أن رحلوا، وهي تبكي. منذ لحظتها وأنا مختبئ في فندق رخيص، لمدة أسبوعين، لا يمكن لي أن أواجه أسرتي - سينبذونني. مستحيل أن أعود لبيتي.<sup>30</sup>

قال صديقه إدريس: "في نفس اليوم الذي ذهبوا فيه إلى بيت حامد، ولكن بعدها بأسبوع، جاءوا عندي":

كانوا يرتدون نفس الملابس السوداء ووجوههم يسترها نفس اللثام، وجاءوا في أول المساء. وقتها كنت في بيت أخي ومعي زوجتي وأبنائي بسبب انقطاع التيار. عدنا في اليوم التالي لنجد البيت مدمرًا، والنوافذ مكسورة، وأغراض كثيرة مسروقة. أخبرني الجيران بمجيء أربعة أو خمسة رجال تتطبق عليهم نفس الصفات [صفات من ذهبوا إلى حامد]. ولم يعرفوا سبب حضورهم؛ لكنني كنت أعرف السبب.<sup>31</sup>

<sup>27</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طارق (اسم مستعار) - العراق - 18 أبريل/نيسان 2009.

<sup>28</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طلال (اسم مستعار) - العراق - 21 أبريل/نيسان 2009.

<sup>29</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طلال (اسم مستعار) - العراق - 21 أبريل/نيسان 2009.

<sup>30</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع حامد (اسم مستعار) - العراق - 20 أبريل/نيسان 2009.

<sup>31</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع إدريس (اسم مستعار) - العراق - 24 أبريل/نيسان 2009.

قال ماجد، صديق آخر لحامد (25 عاماً):

جاءوا لبيت أهلي بعدها بيوم. لم أكن بالمنزل وقتها. ابن الجيران اسمه على اسمي، فاختطفوا الشخص الخطاً. ولما اكتشفوا خطأهم أطلقوا سراح الشاب، لكنهم ضربوه ضرباً مبرحاً، كانوا يبغون قتلها. عذّبوا بالكهرباء وضربوه بالكابلات. عاد إلى البيت وهو يشبه الفروج المشوي.

عندما عدت أنا، كان الجميع يصرخون ويهلكون بأنهم اختطفوا ماجد - ذلك الشاب الذي يدعى ماجد - وعندما أطلقوا سراحه، عاد إلى البيت متزناً وقال "لم يكونوا يقصدوني. كانوا يقصدون ماجد الآخر - ماجد اللوطى. "اضطررت إلى الرحيل. أبي وأمي طرداني. لم أعد استطاع مواجهتهم.<sup>32</sup>

استهدفت الحملة كذلك المقاهي والأماكن التي يجتمع فيها المثليون، على الأخص في بغداد. أخبرنا أحد الصحفيين في أواخر أبريل/نيسان أنه منذ أسبوع بالكرادة، في مقهى معروف أن المثليين يرتدونه، ألقى رجال الميليشيا فيه بورقة موجّهة إلى صاحب المحل، مكتوب فيها: "إذا سمحتم لهم بالتجمّع هنا، سوف نفجر لك المقهى".<sup>33</sup> كما أن هذه الأماكن توفر أدلة يسترشد بها المعتدون للعثور على من يريدونهم. فقال ماجد، الذي اعتدوا عليه في بيته: "انظن إنهم أنوّا بأسمائنا من الأماكن التي كنا نرتادها - من أصحاب الأماكن".

ولكن في ذلك الحي، على أية حال، ما أسهل أن تسأل الناس فيفصحون لك عن كل ارتياح لديهم. كما يختطفون الناس ويعذبونهم لكي يفصحوا عن الأسماء - أو أرقام الهواتف المحمولة. فإذا أخذوا رقمي من شخص ممّن عنبوهم أو قتلواهم، ما أسهل الوصول إلى صاحب الهاتف عن طريق بطاقة sim في العراق.<sup>34</sup>

أخبر عدة أشخاص هيومن رايتس ووتش أن المعتدين قراؤا عليهم قوائم أسماء رجال يرتابون في أنهم يقيمون علاقات مع أمثالهم من الرجال. هيثم شاب في الثامنة والعشرين ومنذ سنة تقريباً وهو على علاقة بعادل، وهو طالب في السابعة والعشرين. "في وقت ما في فبراير/شباط بدأنا نسمع روایات عن مقتل "الجاي" عدداً في بغداد كلها وعلى الأخص في مدينة الصدر. وازداد الكلام عن ذلك ازيداً حتى وسط من يهود النساء، ليس "الجاي" فقط.

وفي مطلع أبريل/نيسان أصابته هذه الروايات شخصياً. قال هيثم: "أمضيت بعض الوقت مع عادل في مقهى بكرادة، كنا في الليل وكنا في السيارة في طريقنا للبيت، في طريق شارع القناة" - وهو حي شرقي بغداد بالقرب من مدينة الصدر:

جاءت عربة وأجبرتنا على التوقف على جانب الطريق. نزل منها حوالي ستة رجال مسلحين وطلبوا بطاقات هوياتنا وكانوا يتّسخون بالسواد، وهذه عادة علامة الجيش المهدى. سألتهم "من

<sup>32</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع ماجد (اسم مستعار) - العراق - 24 أبريل/نيسان 2009.

<sup>33</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع سمير (اسم مستعار) - العراق - 24 أبريل/نيسان 2009.

<sup>34</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع ماجد (اسم مستعار)، العراق، 24 أبريل/نيسان 2009.

أنتم وبأي حق تطلبون هوبياتنا؟" ففتحوا الأبواب وجرّونا إلى خارج سيارتنا وأهانونا ووصفونا "بالحراوي" وقالوا "نراكم دائمًا في أماكن الشواد".

حاولت إقناعهم بأننا مجرد أصدقاء ليس أكثر وأنه ليس بيننا أي شيء. ثم أبرزوا قائمة أسماء وبدأوا يسألونا عن الأسماء المقيدة فيها.

كانت معظمها أسماء نسائية، أسماء يُعرف بها بعض الرجال "الجاي" ولم تكن تلك الأسماء معروفة لأي منا. في تلك اللحظة مررت بنا سيارة [جيش] أمريكيّة في جولتها. فهمسوا لنا بكراهية "دوركم قادم" ثم قذفوا بنا فارتطمنا بالحائط وقفزوا داخل سيارتهم وانطلقوا.<sup>35</sup>

ويقول هيثم متذكراً: "بعدها لم أغادر البيت لعدة أيام". ولم يذهب إلى العمل إلا بعد قرابة أسبوعين، وذلك لتعبئة بعض الأوراق:

كنا في 13 أبريل/نيسان وكنت أقود سيارتي في شارع القناة مرة أخرى في طريق العودة من العمل. وفوجئت بسيارة تلاحمي. كانت مطاردة بالسيارات. أسرعت فأسرعوا هم... كان بالسيارة رجلان، وما فتئ يحدقان في، لم أر إذا ما كانوا مسلحين أم لا، لكنهم كانوا يرتدون السواد. كانوا قد دفعوني إلى يسار الطريق. لو استمررت في طريقي لاصطدمت بالحواجز الخرسانية التي تشكل جزءاً من نقاط التفتيش. فضغط على الفرامل بشدة قبل أن نصل إلى الحاجز الخرساني وانحرفت سريعاً بالسيارة فاستطعت الدخول في شارع جانبي.

أهم ما في الموضوع أنهم عرّفوا مكان عملي. كان الرجال الذين فتشوا محفظتي من قبلها قد رأوا بطاقة هويتي الصادرة من مكان عملي، فكان هؤلاء يتبعونني من مكان عملي.<sup>36</sup>

كان مشعل (41 عاماً) حتى وفت قريب، صاحب محل تجاري صغير في حي أور. في 6 مارس/آذار اختطفه رجال الميليشيات أربعة أيام، وعذبه لإجباره على إعطائهم المزيد من الأسماء ليضيفوها إلى قوائمهم.

في حوالي الرابعة عصراً، دخل أربعة رجال إلى متجره. تلکعوا، وعندما حاولت إجبارهم على الرحيل، أبرزوا المسدسات. كان لديهم ثلاثة سيارات، منها سيارة "دايو" سوداء، ووضعوني في إحداها وعصبوا عيني.

كانوا من رجال الجيش المهدى، فهم الذين يعملون في المنطقة. لم يكن المكان الذي اقتادوني إليه بعيداً: كان قريباً للغاية من أحد الجوامع، بل ربما في الساحة نفسها، لأنني كنت أسمع الآذان بوضوح. وعندما سحبوني خارج السيارة، أخذوا يضربونني حتى فقدت الوعي.

<sup>35</sup> مقابلة لهيون من رايتس ووتش مع هيثم (اسم مستعار)، العراق، 18 أبريل/نيسان 2009.

<sup>36</sup> المصدر السابق.

في وقت متأخر من اليوم التالي، أتوا إلى وقالوا: "نعلم أنك لوطى، نعلم أنك فراخجي [وهي سبة دارجة توجه للرجال المثلثين في العراق]. أبزوا قائمة أسماء وبدأوا في قراءتها: أنت تعرف هؤلاء الشواد، أنت تعرف فلان وعلان. وقرأوا علي أول اسم وذكروا الحي الذي يقطنه. تعرفت على أربعة منهم مازالوا على قيد الحياة، وكانوا قد قتلوا أحدهم.

كانوا قد قتلوا صديقي ولد في فبراير/شباط، قبل اختطافي. كان يسيراً في طريق فسيح بين حيي أور والشعب [شمالي شرق بغداد] وقت المغرب. سالت أخيه عن ذلك لاحقاً وأخبرني: "ذبحوا ولد في قارعة الطريق. لا تسأل أكثر من ذلك". أنا واثق أنهم قتلوه لأنه "جاي". فكان يسيراً مع مجموعة من الأصدقاء من يهون النساء، وهو الذي قُتل وليس هم: إذاً كان هو الذي استهدفوه. وكان أول الأسماء في القائمة التي قرأوها علي.

كانت القائمة تضم عدداً كبيراً من الأسماء الأخرى التي كانت غريبة عنِّي. واعترفت بأنني أعرف هؤلاء الأربع لكتني قلت إن السبب هو كونهم زبائن في متجرٍ ليس إلا.

لياتها استجوبوني لمدة ساعات. كنت مكمماً معصوب العينين طوال الوقت، وعندما أرادوا مني التحدث كانوا يرفعون الكمامات ويعبدونها. أمروني بإعطائهم أسماء غيري من "الجاي". وفي الليل كانوا يأتون بعضاً مقشة ويستخدمونها في اغتصابي.

بعد ذلك تناوضوا على فدية، طلبوا من أسرتي خمسين ألف دولار أمريكي. باع إخوانِي متجرٍ وسيارتي وكل ممتلكاتي فلم يجمعوا سوى نصف هذا المبلغ.

عندما أطلقوا سراحِي قالوا: "لدينا عيوننا، ونعرف كل ما تفعله بالتفصيل. لو خطوت خطوة واحدة خارج بيتك، اعتبر نفسك في عداد الأموات." لم أغادر البيت مطلقاً لمدة طالت عن الشهرين، وبعدها هربت من بغداد. كما هرب أحد الأشخاص الذين قرأوا علي أسماءهم من بغداد ومعه أبويه، وأعرف اثنين منهم لا يفطرون سوى الاختباء في منازلهم. أما البعض الآخر فلا يردون على هواتفهم ولا أعرف مصيرهم.<sup>37</sup>

أُخْبَرَ حسِينَ هِيَوْمَنْ رَائِيسَ وَوْتَشَ "إِنْهُمْ - أَيُّ الْجَيْشِ الْمَهْدِيِّ - يَذْهَبُونَ إِلَى حَفَلَاتِ بَعْيِنَهَا لِاصْطِيَادِ الرِّجَالِ "الجاي". ثم أُخْبَرَنَا أَنَّهُ فِي مِنْتَصِفِ شَهْرِ مَارْسِ / آذَار

ذهبت إلى حفلٍ في حيِّ الأَدْهَمِيَّةِ. وَهِيَ مِنْطَقَةٌ مَلِيئَةٌ بِالسَّنِينِ، وَلَكِنَّهَا مَوْجُودَةٌ بِحِيِّ شِيعِيٍّ. لَمْ يَكُنْ بالحفل سُوَى الرِّجَالِ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا مُعْظَمَهُمْ مَمْنُونِ يَهُوَنَ النِّسَاءَ، وَكَانَ الْحَفَلُ مُلِئَ بِالرِّقصِ وَالْمَشْرُوبَاتِ الرُّوْحِيَّةِ. أَمَّا أَنَا فَأَجِيدُ الرِّقصَ الشَّرْقِيَّ وَرَقَصَتْ طَوَالِ الْأَمْسِيَّةِ. وَطَوَالِ الْلَّيْلَةِ كُنْتُ أَمْحَى أَشْخَاصًا وَسَطَ الزَّحَامِ يَرْاقِبُونِي وَيَتَابُونِي بِأَعْيُنِهِمْ.

<sup>37</sup> مقابلة لـهيومن رايتس ووتش مع مشعل (اسم مستعار)، العراق، 20 أبريل/نيسان 2009

غادرت الحفل في حوالي التاسعة مساءً. وبينما كنت أسيير في الـدرب، كانت ورائي سيارة دايو برينـس، وبها ثلاثة رجال بلحٍ قصيرة.

كانوا من ضمن الحضور بالحفل وكانت أنا الوحيد الذي رفض رقصًا شرقيًا وكان واضحًا جدًا أنني "جاي". آه - وكانوا يشربون الخمر هم الآخرين! هؤلاء الناس لا مانع لديهم من القتل فلا عجب من أنهم لا يمانعون في أخذ رشوة نبيذ.

خرج أحدهم من السيارة وقال، "دعنا نصطحبك". عرفت من لهجتهم أنهم شيعة.<sup>38</sup> بدأت أتراجع فقللوا بخشونة "تعال معنا" وكانوا في منتهى الإلحاح.

جذبني أحدهم من ذراعي. وأنا أعرف هذه النوعية، فهم دائمًا يبحثون عن شخص ناعم من أمثالى. دفعته بعيدًا عنى، فجاء رجل ثانى وأمسك بي وشتمنى بإين القحبة، وجذبني داخل السيارة. ولم أعرف: هل سيضرّوننى، هل سيقتلوننى؟ قلت لهم دعووني أخرج وإلا سأبدأ فى الصراخ" - حيث كنا بالقرب من نقطة التفتيش. كانوا يحملون مسدسات وأسلحتهم، ثم ضربنى أحدهم على رأسى بقبض مسدس.

وعندما تحدثنا مع حسين، كان لا يزال يحمل جرحًا متقيحاً على جبينه من آثار الضرب.

بكى وقال أحدهم: "سوف نفعلها بك"، وكانوا يقودون بسرعة جنونية وكانت أنا بجوار الباب، فبدأت أقاوم. ضربوني بالمرفق، ثم تمكنت من فتح الباب وتدرجت خارج السيارة إلى الشارع، بجوار الحاجز الخرسانية. وتركوني هناك، وصحوت في اليوم التالي، وكان شخص ما قد جرّنى إلى المستشفى.

يقول حسين: "الجرح في رأسى هو العلامة: سأقتل. إنهم يكرهوننى. أريد أن أعيش".<sup>39</sup>

### تعذيب وتهديه: "مجربة في الطريق العام"

"قتلوا ثلاثة منذ يومين" - هذا ما قاله الطبيب (ويعتبر نفسه مثلياً) في منتصف أبريل/نيسان. "سمعت الخبر من صديق. وسمعت أنهم علقوا جثثهم من فوق حائط". يسكن الطبيب بالقرب من مدينة الصدر، ولم تعد تؤثر فيه - وإن ظل لها بعض التأثير - روایات القتل العمد للمثليين في منطقته، والتي يسمعها بشكل منتظم:

نفس ما كان يحدث للسنة والشيعة يحدث الآن مع "الجاي". وحتى الآن علمنا أنا وأصدقائي بمقتل حوالي 10 أو 15 شخصاً، ومعظم الجرائم وقعت في مدينة الصدر أو في المناطق المحيطة بها. أحياناً يأخذون الناس من المناطق الأخرى ويأتون بهم إلى هنا ليقتلواهم. منذ حوالي شهرین، كانت

<sup>38</sup> الغالبية العظمى من سكان جنوب العراق من الشيعة، لذا فلهجة تلك المناطق توحى بأن أصحابها شيعي، لكن ذلك ليس بالخبر اليقين.

<sup>39</sup> مقابلة لـ هيومن رايتس ووتش مع حسين (اسم مستعار)، العراق، 23 أبريل/نيسان 2009.

بداية الموضوع. يوماً بعد يوم يزدادون وضوحاً وبروزاً، والآن الموضوع ضخم ورهيب. في البداية كانوا يفعلون ذلك سراً: أما الآن فيستوقفونك - استوقفوني أنا بهذا الأسلوب - ويفتشونك في الشارع أمام الناس.

فرّ الطبيب من بغداد في منتصف أبريل/نيسان حفاظاً على سلامته، لكن القصص ظلت تطارده، ليس فقط في حياته الشخصية لكن بصفته المهنية أيضاً. قال لـ هيومن رايتس ووتش في 18 أبريل/نيسان:

قال لي طبيب زميل، وكان زميلاً في الدراسة ويعمل الآن في المستشفى الكندي - قال لي عبر الهاتف إنهم قتلوا المزيد من الرجال بالأمس. أتوهم بأربعة جثث مبتورة الأعضاء التناسلية، وأتوهم ببعض الرجال، ما زالوا أحياء، وفتحات الشرج لديهم بداخلها صمغ.<sup>40</sup>

كما أخبرنا أن زملاءه حذروه بعد ذلك بأيام قليلة "أن توافق الجثث على المستشفى لا يزال مستمراً". في يوم جاءت جثتان، وفي اليوم التالي وصلت أربع جثث، وجثتان أو ثلاث فتحات شرجهم ملصقة بالصمغ. ذلك بالإضافة إلى أشخاص أحياء - كثيراً من الأحياء - تعرضوا للتعذيب قاسياً، ولديهم كسور بالعظم.<sup>41</sup>

أما طبيب، وهو شاب في الرابعة والعشرين فقضى عدة سنوات وهو يقيم في دار آمنة "بغداد"، تمولها جماعة "عرافي إل جي بي تي" ومقرها لندن. وأخبرنا أنه لم يبق سوى تسعه من إجمالي السنة عشر رجالاً الذين كانوا يقيمون معه بالدار، أما المتبقين فإما سقطوا ضحايا القتل العمد أو اختفوا. أخبره أصدقاؤه وأفراد أسرته "أن الجيش المهدى ألقى بصديقي مصطفى من فوق بناء، ثم قتلوه رمياً بالرصاص". وكذلك أوائل عام 2009:

قتل الجيش المهدى خلدونا في بغداد الجديدة. سمعت أنهم عذبوا خلون وضربوه ومثلوا بجثته، وأخيراً علقوه على قارعة الطريق. ومن أشكال التعذيب التي استخدموها فيه أنهم سدوا فتحة شرجه تماماً بصمغ قوي وبعدها أطعوه مليناً سبب له حالة إسهال فمات.<sup>42</sup>

وقد يكون أشد جوانب هذه الحملة مداعاةً للفرع هو أن الجناء يظلون بمنجاة من العقاب والطابع العلني لأحداث القتل. فالشكل الوحشي لهذه الجرائم، إضافة إلى تكاثر الجثث المثل بها في صناديق القمامات علامات المقصود بها الإشارة إلى سطوة القتلة ورخص حياة القتلى. وهكذا، فإن الأجساد التي تتعرض للإخلاء والتلويه والتلميل بها والتعذيب تصبح شواهد نسطر عليها بحرفي محفورة صور العقاب بدلاً من مجرد إنزال العقاب بها. فالأمر في - عبارة أحد الرجال - "محزرة في الطريق العام".<sup>43</sup>

علمت الصحافة بأبشع طريقة قتل بحقن الصمغ داخل شرج الضحايا في 19 أبريل/نيسان، في مقال في العربية أنت بإدانة على لسان ينار محمد، وهي ناشطة عراقية تدافع عن حقوق المرأة، تدين فيها "شكل من التعذيب لا سابق له

<sup>40</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع فادي (اسم مستعار)، العراق، 18 أبريل/نيسان 2009.

<sup>41</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع فادي (اسم مستعار)، العراق، 23 أبريل/نيسان 2009.

<sup>42</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طيب (اسم مستعار)، العراق، 25 أبريل/نيسان 2009.

<sup>43</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع عاطف (اسم مستعار)، العراق، 26 أبريل/نيسان 2009.

ضد المثليين.<sup>44</sup> كما أكد أطباء آخرين في بغداد لـ هيومن رايتس ووتش أن هذا النوع من التعذيب يمارس بالفعل. أخبرنا أحدهم، ويعمل بمستشفى الشواهد بمدينة الصدر، أنه رأى أربع جثث لرجال أتت للمستشفى:

كان أحدهم من معارفي. إحدى الجثث وجدوها وسط القمامنة في منطقة قسرى وعطش، أما الآخرين فوجدوهم في عدة طرقات أخرى... كانت جثتان من بين الذينرأيتمهم ملصوقات مؤخراتهما بالصمت. سمعت أن ذلك حدث في إحدى ورش السيارات بمدينة الصدر، ولكنني لا أعتقد أن الشرطة أجرت أي تحقيقات في هذا الموضوع.<sup>45</sup>

ولكن المذكور أعلاه ليس إلا أسلوب واحد ضمن أساليب عديدة يُعد بها المعتدون عرضاً مسرحياً للإذلال والإهانة. فمثلاً أخبرنا مشعل: أخبرني أصدقائي أنهم قتلوا رجلين في الأسبوع الماضي، في جريمتين منفصلتين. كان أحد الضحايا من مدينة الصدر، أما الثاني فكان من أور وهي منطقة. خلعوا ملابسهم ثم أجبروهم على ارتداء حمالات صدر نسائية وكافولات. ثم ضربتهم رجال الجيش المهدى حتى ماتوا. وصوروا إحدى الجريمتين على الأقل فأنا رأيت الفيديو يتناقله الناس عبر البلوتون.<sup>46</sup>

ومثل هذه القصص تؤكد على أجواء الرعب وتتضمن بقاءها، كما أن مما يثبت صحة هذه الروايات الأفلام التي تصور البشاعات والإهانات، وتتناقل هذه الأفلام بشكل بالغ السرعة من هاتف نقال إلى آخر من أقصى العراق إلى أقصاها. فأخبرنا طارق: " ظهرت في الآونة الأخيرة شتيمة جديدة "الجاي" وهي " جرو ". عرض علي أحد أصدقائي فيلم فيديو على هاتفه النقال يصور رجالاً في منتهى النعومة، وقد دبلجوا صوت جرو ينبح على صورته بحيث يتماشى النباح مع حركات فمه . وهذا النوع من الأفلام منتشر، حيث يوجد الكثير منها".<sup>47</sup>

أخبرنا فضل إن في منطقته بالقرب من مدينة الصدر، "رأيت ملصقاً على الحائط : " أوقفوا أفعال المثليين الشواذ المشينة المنافية للدين الإسلامي وأنزلوا بهم نصيبهم من العقاب الإلهي ".<sup>48</sup>

ظهرت لافتات مماثلة في النجف وهي مسقط رأس عائلة الصدر. أخبرنا أحد الأطباء أن أسماء من يرتابون في أنهم يمارسون المثلية كانت مكتوبة على الجدران " في ثلاثة أماكن مختلفة بمدينة الصدر: قصرى وعطش، وشارع الفلا، وفي آخر شارع الداخل ".<sup>49</sup> كما وردت في العربية مزاعم عن ظهور تهديدات علنية بالمنطقة تستهدف أفراداً مذكورين بالاسم:

مجموعة مجهلة تطلق على نفسها اسم "أهل الحق" [تقوم] بملحقة مثلي الجنس من أهالي المدينة بعد مقتل عدد منهم في الأيام الماضية. وقالت المصادر إن "3 قوائم تحمل 10 أسماء لفتياً

<sup>44</sup> 7 جثث لهم في مشرحة بغداد.. والعشائر تسميهم "الجراوة والطنطة": ميليشيات تعذّب الشواذ في العراق بـ"الصمت الإيراني". العربية، 20 أبريل 2009.

<sup>45</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طبيب طلب عدم ذكر اسمه، العراق، 15 مايو/آيار 2009.

<sup>46</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع مشعل (اسم مستعار)، العراق، 20 أبريل/نيسان 2009.

<sup>47</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طارق (اسم مستعار)، العراق، 18 أبريل/نيسان 2009.

<sup>48</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع فادي (اسم مستعار)، العراق، 18 أبريل/نيسان 2009.

<sup>49</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طبيب طلب عدم ذكر اسمه، العراق، 25 أبريل/نيسان 2009.

مثلي الجنس علقت لساعات قصيرة في مدينة الصدر". وأكدت وجود عبارة تقول "سنقوم بالقصاص منكم أيها الفاجرين".<sup>50</sup>

أضاف فادي أن أساليب هؤلاء تضم التهديدات الشخصية. "لو كانوا [أي الجيش المهدى] غير متاكدين من شانك، يقولون: "عليك أن تعدل عن أفعالك وإلا قتلناك". أما إذا كانوا واثقين، يقتلونك دون مقدمات". وقال لـ هيومن رايتس ووتش:

تعرّض صديق لي، وهو مهندس، للتهديد المباشر. روى لي أنه أخبروه أن أسرته ستُقتل معه إن لم يعدل عن فعل هذا. لم أسمع أي خبر منه منذ عشرة أيام.. أنا أيضًا هددوني مباشرةً. تعرّفت على شخص معروف جدًا عنه إنه "جاي". أعتقد أن بعض الناس بالحى تربى لديهم شك أنني قد أكون "جاي" أنا الآخر. وفي حوالي 12 أبريل/نيسان، كنت في الطريق العام ورأيت بعض بلطجية الجيش المهدى يضربون شابًا كانوا يتهمونه بأنه كذلك. لمحوني وصرخوا: "نعرفك وسنقتلك بعده".<sup>51</sup>

أخبرنا عدة أشخاص أنهم تلقّوا تهديدات بالقتل عبر الهاتف أو في رسائل. أخبرنا طلال: "بداءً من ديسمبر/كانون الأول [2008] بدأت تصلكي رسائل قصيرة على الهاتف تحوي شتائم". واستحياء منه أن ينطق بذلك الألفاظ كتبها لنا في ورقه: "طنطة" (أي الرجل المخت) "فراخ" (أي صبيان).

وكتبوا بالرسائل: "نعرف شكلك"، و"نعرف بيتك وسنأتي عندك" و"سنقتلك إذا رأيناك". وأتنبي مكالمات من أرقام عشوائية تقول نفس المعنى.<sup>52</sup>

قال بلال، وهو بائع في كرادة، إنه "منذ ثلاثة أسابيع كنت أسير في الطريق، ثم وقفت سيارة بجانبي، فيها ثلاثة شباب مراهقين. وبدأوا في التقوه بالقباحات وتتبعوني قائلين: "عيّب، عيّب، يا شاذ، يا دودة":

كلما ذهبت إلى عملي أصابني الخوف. فكأنما أقامر في كل مرة ذهبت فيها. منذ شهرين أتى رجل ما وكان يتبعني. كان يتسلّك في المنطقة التي أعمل فيها وينظر لي نظرات كريهة - شعرت بالخوف من التعرض للاختطاف أو القتل.<sup>53</sup>

غادر بلال بغداد ورحل إلى منطقة أخرى في العراق. في مايو، أخبر هيومن رايتس ووتش إن مجهولاً أرسل رسالة إلى أسرته تقول إن "هم" في انتظاره، وإنه سيكون مصيره القتل إذا عاد إلى حيّ كرادة الذي كان يقطنه.<sup>54</sup>

<sup>50</sup> "7 جثث لهم في مشعرة بغداد.. والعشائر تسميهم "الجراوة والطنطة": ميليشيات تعذّب الشواد في العراق بـ"الصمع الإيراني". العربية، 20 أبريل 2009. [http://www.alarabiya.net/save\\_print.php?print=1&cont\\_id=71071](http://www.alarabiya.net/save_print.php?print=1&cont_id=71071)

<sup>51</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع فادي (اسم مستعار)، العراق، 18 أبريل/نيسان 2009.

<sup>52</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طلال (اسم مستعار)، العراق، 21 أبريل/نيسان 2009.

<sup>53</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع بلال (اسم مستعار)، العراق، 20 أبريل/نيسان 2009.

<sup>54</sup> رسالة بريد إلكتروني إلى هيومن رايتس ووتش من بلال (اسم مستعار)، 12 مايو/أيار 2009.

كما امتدت هذه التهديدات إلى خارج بغداد. تحدثنا مع رجلين بالنجف بينهما علاقة استمرت خمس سنوات، والمعروف أن النجف التي يسكنون فيها هي موطن مقام الإمام علي وهي من أقدس الأماكن بالنسبة للشيعة كما بالمدينة بيت من بيوت مقتضى الصدر، والجيش المهدى يحكم المدينة. كان جعفر (41 عاماً) لديه متجرًا فيما مضى بالقرب من جامع الإمام علي أما عندما التقينا به، كان في حالة من الصدمة والانهيار من آثار الإساءات والمضايقات والهجمات التي تعرض لها على مدى شهور طويلة، فأصبح لا يقوى على مغادرة غرفته وكان بالكاد يفلح في الكلام. فسمعنا معظم ما حدث لهم من محمد شريك حياته 34 عاماً.

قال محمد: " فعل الجيش المهدى بنا الكثير".

بدأ الموضوع في أكتوبر/تشرين الأول 2008. دخل بعض الرجال إلى متجر جعفر وأعطوه مخدرًا في شكل مشروب أو حلوى. عندما دخل في سيارته وهَمَ بالعودة إلى البيت ومه إيرادات المتجر، دخل أحدهم معه السيارة، ومن تأثير المخدر لم يقو على منعهم، فاختطفوه وضربوه وسرقو كل ما كان يحمله - عشرات الآلاف من الدولارات. واختفى لمدة أيام، ويرفض البوج بما حدث له. لم أره إلا بعدها بأسابيعين وكان لا يزال برأسه ندبة دامية من آثار الضرب.

في مرة أخرى، اختطفوه لمدة طالت ستة أيام وهو حتى الآن يرفض بتاتاً أن يخبرني بما فعلوه به. كانت جوانبه عليها كدمات كأنما سحلوه في الطريق - فعلوا به أفعال يعجز عن وصفها حتى لي أنا.

"كتبوا في التراب على الزجاج الأمامي لسيارته: الموت لقوم لوط والمخابرين مع الأعداء". كما أرسلوا لنا تهديدات مستترة في الرسائل الكتابية عبر الهاتف فقال: "أسماؤكم في القائمة" وأرسلوا لجعفر مظروفاً فيه ورقه، إلى بيته: كان يحوي ثلاثة تصاصات مغلفة بالبلاستيك من أحجام مختلفة. ورد في الرسالة: "أيهما تريد في قلبك؟".

عرفت من هم، حيث جاء المظروف من عند الخبير الفني للجيش المهدى بالنجف - هو الذي ينفذ مواقعهم على الإنترنت. قابلني ذات يوم في الدرج وسألني "هل وصلناك هديتي؟".

أبغى أن أكون شخصاً طبيعياً، أحيا حياة طبيعية، وأسير في طرق المدينة، وأحتسي القهوة على قارعة الطريق. ولكن بسبب كوني من أنا، فذلك مستحيل، ولا مفر.<sup>55</sup>

روى لنا مصطفى (37 عاماً) أن أحد رجال الميليشيات نصب له فخاً في أحد حمامات البصرة مسقط رأسه:

في البصرة حمام يرتاده "الجاي". دخلته، لكنني كنت في منتهى الحرث بالنسبة لمظهره وتصوفاته. أخذت دوش وجاعني، وبدأ في الحديث عن الأوضاع في العراق، وقال إنه يجب على

<sup>55</sup> مقابلة لبيومن رايتس ووتش مع محمد وجعفر (أسماء مستعارة)، العراق، 21 ابريل/نيسان 2009.

الناس التزام المزيد من التفتح، وتقبل التغييرات وأن يتغيروا معها. كان في منتهى البراعة في  
أسئلته!

سألني إذا ما كنت أشاهد الفنون الفضائية. قلت نعم. سألني إذا كنت أشاهد الفنون الأوروبية فأنكرت.<sup>56</sup> قال: "الإنترنت طيب: ما أطيب دخول الإنترت إلى بلدنا." سألني عن المواقع التي أزورها. قلت له مجرد موقع متنوعة عادية. سألني إذا كنت أرتاد الموقع الإباحية. ثم سألني إذا كنت أستخدم موقع "منجم" [وهو موقع إعلانات طلب علاقات شخصية له شعبية لدى الرجال المثليين]. وبذلك كان في منتهى الذكاء، حيث كنت أعتقد أن هذا الموقع لا يعرفه إلا "الجاي" فعندما قال ذلك وثقّ فيه واعترفت.

ابتسم لي لمدة دققتين، ابتسامة محابية وتتسنم بالحق، وظل ينظر لي فحسب. ثم أمسك بشعري وبدأ يضربني وهو يصرخ : "أنت چايلز" قالها هكذا باللفظ : "چايلز" وجرني خارج الدوش. توسلت إليه بأن يسمح لي بارتداء ملابسي، فسمح لي بارتدائها، لكنه بعدها سحبني إلى خارج الحمام في الطريق العام وهو يصرخ "أنت لوطي"!

تجمع الناس حولنا وهو يضربني وحاولوا التدخل. فسألوه: "كيف عرفت أنه لوطي؟ هل رأيته وهو يمارس اللواط؟" فرد عليهم: "لدي أساليبي الخاصة في معرفة ذلك! كنت أتوسل إليهم أن يساعدوني، وأثناء محاولاتهم للحديث معه بالعقل، انتهت فرصة المهرج والمرج وهربت. كنا في دربٍ ضيق ملتوى؛ جريت ما يقرب من 300 متر قبل أن أصل إلى متجر يبيعون فيه الجبال. ناديت "دخيلك" [والقصد بذلك طلب الاحتماء بالمكان]. فأدخرني صاحب المكان وسمح لي بالاختباء في متجره.

أدخلني وأخبارني في القبو، لكنني حتى في القبو كنت لا أزال أسمع الرجل وهو يصرخ بالخارج "وبنِه؟" ولقد انضمت إليه أصوات أخرى. بعدها بساعتين أخبرني صاحب المتجر أنه اضطر إلى إغلاق أبوابه، قال لي إن الرجل كان من الجيش المهدى وأن الميليشيا تبحث عن ذهاباً وإياباً في الدرج كله، فتوسلت إليه أن يسمح لي بأن أظل بالداخل طوال الليل، فأنزل أبواب المتجر وسمح لي بالاختباء عنده. أما في الصباح، بعد صلاة الفجر عاد صاحب المتجر وأخبرني أن الجو آمان فلذت بالفرار.<sup>57</sup>

حنيف (25 عاماً) فر من بغداد بسبب جو التهديد الذي يمارسه أشخاص أخذوا على عاتقهم تنفيذ قانونهم الخاص. وبعدها بأسبوعين تلقت أمه رسالة مكتوب فيها الآتي:

رسالة إلى أحد جراوي بغداد

<sup>56</sup> تشتهر "الفنون الأوروبية" لدى بعض العراقيين بتقاديمها برامح إباحية.

<sup>57</sup> مقابلة لبيومن رئيس ووش مع مصطفى (اسم مستعار)، بيروت، لبنان، 10 يوليو/تموز 2009.

أعلم أن قانون الشريعة سيطبق عليك وأنه يجب علينا سرعة التنفيذ  
حيثما اخفيت، سنحظى بثواب قتالك.

وكانت موقعة: "أهل الحق".<sup>58</sup>

أخبرنا رجل آخر، من كركوك، أن ميليشيات السنة كانت قد وجهت له التهديدات هناك في أبريل/نيسان 2009.

كانت لديهم شكوك بخصوص ملابسي وسلوكي، وكانوا يراقبونني طوال الوقت. ثم ذات يوم أوقفوني في الطريق وأنا عائد من عملي إلى المنزل في الليل. وجهوا لي الشتائم والإهانات (طنطه وفراخ) وهددوني بالمسدسات. وأمروني بتغيير ملابسي وصوتي ونهوني عن مقابلة أي شخص أبداً أي كان، وأخبروني أنهم يعرفون ما أنا عليه، وضربي أحد هم في وجهي. وبسبب ذلك تركت عملي والمدينة برمتها.<sup>59</sup>

---

<sup>58</sup> رسالة بريد إلكتروني إلى هيومن رايتس ووتش من حنيف (اسم مستعار)، 29 أبريل/نيسان 2009.  
<sup>59</sup> رسالة بريد إلكتروني إلى هيومن رايتس ووتش من يوسف (اسم مستعار)، العراق، 5 مايو/آيار 2009.

### III. الابتزاز والدولة: قصة نوري

لا يجرم القانون العراقي السلوك المثلي بين البالغين الذي يتم برضاء الطرفين. ولا يرد السلوك المثلي تحديداً في قانون العقوبات لعام 1969 - وهو لا يزال سارياً - إلا في المادة 393، وعنوانها، "الاغتصاب واللواط وهتك العرض". ولكن المادة، بالرغم من عنوانها، تمثل محاولة لسنّ قانون يعاقب الاغتصاب بصرف النظر عن نوع المجنى عليه. وفي صلب المادة نقرأ:

يعاقب بالسجن المؤبد أو المؤقت كل من واقع أنثى بغير رضاها أو لاط بذكر أو أنثى بغير رضاه  
أو رضاها.<sup>60</sup>

ولكن القانون الجنائي يحتوي على بعض الأحكام العامة الشاملة التي تعطي رجال الشرطة والمدعين سلطات واسعة لإنزال العقاب بالأشخاص إذا كانوا ينفرون من كلامهم أو حديثهم أو تصرفات وحسب.

- تعاقب المادة 401 "كل من ارتكب فعلًا مخلاً بالحياة" في مكان عام بالحبس لمدة لا تزيد عن ستة أشهر.
- تعاقب المادة 402 "من طلب أمورًا مخالفة للآداب من آخر ذكرًا كان أو أنثى" بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر.
- تعاقب المادة 501 "من اغتسل في المدن أو القرى أو القصبات بصورة منافية للحياة أو ظهر في محل عام بحالة منافية للآداب"، بالحبس لمدة لا تزيد عن عشرة أيام أو بالغرامة.
- تفرض المادة 502 العقوبة ذاتها على "من وجد يتسلك في المحلات العامة أو يترصد فيها لقصد أو لغاية منافية للآداب".

كما توجد مواد أخرى يمكن استغلالها في الحد من حرية التعبير والتجمع السلمي أو في إنزال العقاب بالمدافعين عن حقوق الإنسان إذا ما تبنوا القضايا التي لا ترقى للعامة أو للسلطات.

- تعاقب المادة 200 (2) بالحبس لمدة لا تزيد على سبع سنوات أو الحبس كل من جذ أو روج أيا من المذاهب التي ترمي إلى تغيير مبادئ الدستور الأساسية أو النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية".
- تحظر المادة 210 نشر أو ترويج أية معلومات أو أفكار لعدة أسباب من ضمنها "تكدير الأمن العام".
- أما المادتان 403 و 404 تسمحان بالحبس (لمدة لا تزيد عن سنتين بحكم المادة الأولى)، ولا تزيد عن سنة بالنسبة للثانية) لصاحب الأقوال أو المنشورات الـ "مخلة بالحياة أو الآداب العامة".<sup>61</sup>

<sup>60</sup> قانون العقوبات رقم 111 لسنة 1969 وتعديلاته: النسخة المدقحة الكاملة من الطبعة الثالثة لعام 1985 مع تعديلاتها التشريعية وما أصابها من قرارات سلطة الائتلاف المؤقتة 2003 – 2005 ، إعداد القاضي : نبيل عبد الرحمن حياوي. بغداد، المكتبة القانونية، 2008. ذكرت منظمة العفو الدولية أنه ورد في نوفمبر/ تشرين ثان 2001 أن مجلس قيادة الثورة - وهو أعلى سلطة تشريعية في الدولة تحت حكم صدام - وكجزء من حملة تطهير أخلاقية، "أصدر مرسوماً يعاقب كل من الدعاية والمثلية وزنا المحارم والاغتصاب بعقوبة الإعدام" ("العراق" في التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية 2002: حالة حقوق الإنسان في العالم لم تفلح هيومان رايتس ووتش في العثور على نص ذلك المرسوم بالضبط. تعتقد منظمة العفو الدولية أنه كان مرسوماً مؤقتاً (رسالة بريد إلكتروني إلى هيومان رايتس ووتش من أحد باحثي منظمة العفو الدولية، 11 يونيو/ حزيران 2009) وعلى أيّة حال، لم تُعد مراسيم مجلس قيادة الثورة سارية تحت حكم الحكومة العراقية التي أنت بعد الاحتلال.

استغل مدعو الحكومة الإقليمية الكردستانية المادة 403 لمقاومة من يفتح مواضعها علامة بالمثلية على الملا، ففي 24 نوفمبر/تشرين الثاني 2008 حكمت إحدى محاكم إربيل على عادل حسين وهو طبيب وصحفي مستقل بالحبس ستة أشهر للتعبير عن أمور منافية للأدب لنشره مقالاً قبلها بعامين في المجلة الأسبوعية المستقلة حولتي يتناول القضايا الصحية الخاصة بالرجال الذين يمارسون الجنس مع غيرهم من الرجال.<sup>62</sup>

ولكن حيثما تفتقر سيادة القانون إلى احترام الناس والقدرة على التطبيق، فإن النصوص التشريعية ليست بذات موضوع إلى حد كبير، حيث قد يجهل الكثير من رجال الشرطة ما يسمح به القانون ويحظره تحديداً. وفي أبريل/نيسان 2009، ورد في صحيفة النيويورك تايمز على لسان ضابط شرطة بأحد أقسام شرطة كراده ببغداد "اللواط يحظره القانون. وهو مرفوض". وزعم ذلك الضابط أن منذ أربعة شهور والشرطة تشن "حملة لتنظيف الشوارع وتخلصها من المسؤولين واللواطيين".<sup>63</sup>

وفي ذات الحين، ينطلق قمع الشرطة بداع التحيز والفساد حتى في غياب أي تبرير قانوني. أخبر العديد من الأشخاص هيومن رايتس ووتش بأنهم شاهدوا رجال الشرطة يتحرشون بالرجال "المختفين" أو يضربونهم. قال لنا أحد الصحفيين: "منذ حوالي أربعة أشهر في بي بار شرق [في بغداد]، وأنا في طريقي إلى العمل، رأيت شخصياً رجال الشرطة وهم يمسكون بأربعة رجال من يرتدون ملابس النساء، وكانوا يعتدون عليهم اعتداءً بدنياً قاسياً - فكانوا يجذبونهم من شعرهم، ويركلونهم ويزجون بهم بعنف في الصندوق الخالي لعربة الشرطة".<sup>64</sup>

يتم العراقيون الذين التقينا بهم رجال الشرطة بالتعاطي عن عنف الميليشيات بل والتواطؤ معها. قال مشعل، الذي اختطفه الميليشيات في أبريل/نيسان 2009: "كانت دورية الشرطة موجودة بجانب المتجر مباشرة عندما تعرضت للاختطاف، ولكن رجال الشرطة لم يتدخلوا بتاتاً. الكل يعتقد أن الشرطة [في تلك المنطقة] تحت سيطرة الجيش المهدى".<sup>65</sup>

أما أهم الأمور فهو، كما قال أحد الرجال في حديث معنا، "عندما ينظر رجال الشرطة إلى "الجاي" يرون الأموال الطائلة".<sup>66</sup>

وأخبر أحد ضباط الجيش العراقي هيومن رايتس ووتش أنه "من خلال علاقاتي، سواءً في الجيش أو في وزارة الداخلية، رأيت نماذج لا تصدق من الفساد الإداري. فهم على استعداد لفعل أي شيء وتنمير أي شخص لمجرد

<sup>61</sup> قانون العقوبات رقم 111 لسنة 1969 وتعديلاته النسخة الكاملة من الطبعة الثالثة لعام 1985 مع تعديلاتها التشريعية وما أصابها من قرارات سلطة الائتلاف المؤقتة 2003 – 2005، إعداد القاضي: نبيل عبد الرحمن حياوي. بغداد المكتبة القانونية 2008.

<sup>62</sup> Reporters Sans Frontieres, "Doctor Jailed in Kurdistan for Writing about Homosexuality," December 2, 2008.

أفرج رئيس الحكومة الإقليمية الكردية مسعود برزاني ذلك الصحفي بعدها بأسبوعين في غضون أحد فترات الإعفاء الجماعي الموسمية:

Reporters Sans Frontieres, "Kurdish President Pardons Doctor who Was Jailed for Writing about Homosexuality," December 8, 2008, both at [http://arabia.reporters-sans-frontieres.org/article.php3?id\\_article=29508](http://arabia.reporters-sans-frontieres.org/article.php3?id_article=29508), accessed May 2, 2009

<sup>63</sup> Timothy Williams and Tareq Maher, "Iraq's Newly Open Gays Face Scorn and Murder," New York Times, April 8, 2009.

<sup>64</sup> لقاء أجرته هيومن راتس ووتش مع سمير (اسم مستعار)، العراق، 24 أبريل/نيسان 2009.

<sup>65</sup> لقاء أجرته هيومن راتس ووتش مع مشعل (اسم مستعار)، العراق، 20 أبريل/نيسان 2009.

<sup>66</sup> لقاء أجرته هيومن راتس ووتش مع هيثم (اسم مستعار)، العراق، 13 أبريل/نيسان 2009.

الحصول على بعض المال — سواءً من خلال التهديدات أو الابتزاز أو التعذيب. والرجال المثليين من أسهل الفرائس التي يمارسون عليها ابتزازهم".<sup>67</sup>

جاءت رواية يتضاد فيها العنف الوحشي مع الفساد الحكومي على لسان أحد الشباب الذين تحدثنا معهم. في أوائل 2009 وأثناء بداية انطلاق حملة الميليشيات واسعة النطاق، اختطفه ضباط وزارة الداخلية وعذبوه في عملية ابتزاز قاتلة، بهدف ابتزاز الأموال منه لأنهم عرفوا أنه يعمل مع منظمة بالخارج تساعد الأقليات الجنسية، فدفع لهم ونجا بنفسه، ويقول إنه رأى بعينيه جثث خمسة رجال بسبب عجزهم عن الدفع.

نوري شاب عمره 21 عام ومن مواليد بغداد، وكان قد بدأ الاتصال بجمعية "عربي الـ جي بي تي"، ومقرها لندن، عندما كان في السابعة عشر. وفي الأعوام التي تلت ذلك، استأجر وأدار بيته في بغداد نيابة عن هذه المنظمة وباسمها، وكانت وظيفة هذين البيتين "ديار آمنة يحتمي بها الرجال، ومعظمهم من الشباب، ومن طردهم أسرهم أو من واجهوا العنف في الطرقات لكونهم "مخنثين" أو لأن الناس ترتتاب في أنهم يمارسون الجنس مع غيرهم من الرجال. وكانت هذه الجمعية العراقية ترسل إليه بعض المبالغ الصغيرة بصفة دورية بهدف صيانة هذه الديار وتغطية تكاليفها، ولفت أنظار السلطات بلا شك. فقال لنا: "في يوم من أيام فبراير/شباط 2009:

كنت راكبًا سيارة أجراة في وسط كراده عندما استوقف المغاوير السيارة، وطلبا بطاقة هويتي وفتشوني، أخذوا تليفوني ومحفظتي ووضعوا القيد المعدنية بمعصمي ثم غطوا رأسي بحقيقة وضربني ووضعوني في عربة، وأخذوني إلى وزارة الداخلية.

عندما وصلنا، سمعتهم يتحدثون في جهاز لاسلكي: كانوا يخبرون أشخاصاً من المخابرات عما حدث.

وضعوني في غرفة - غرفة عادية - وأزالوا الغطاء من على رأسي، ووجدت نفسي مع خمسة رجال "جاي" آخرين. لم أكن أعرفهم من قبل، لكنني اكتشفت أننا لدينا معارف مشتركة. وأعطوني هؤلاء الخمسة أسماءهم المؤنثة لكنهم لم يفصحوا عن أسمائهم الحقيقة. الرجال "الجاي" في العراق حريصون جداً على إخفاء أسمائهم الحقيقة.

ثم بعدها بساعتين، فرقونا ووضعوا كل متنّا في غرفة. ولم أعرف مصير أيّاً من الخمسة الآخرين بعد ما فرقونا. ثم جاءني ضابط شرطة وقال: "هل تعلم أين أنت؟ أنت في جناح الاستجواب في وزارة الداخلية." قال: "لو لديك عشرة آلاف دولار أمريكي، ستطلق سراحك."

قلت له إنني ليس لدي مثل هذه المبالغ.

<sup>67</sup> لقاء أجرته هيومان رايتس ووتش مع وحيد (اسم مستعار)، العراق، 23 أبريل/نيسان 2009.

في اليوم التالي في العاشرة صباحاً، قيدوا يدي خلف ظهري بالقيود المعدنية. ثم ربطوا حبلأ حول ساقي، وعلقوا الحبل بخطاف بالسقف، فكانت معلقاً ورأسى إلى أسفل، من الصباح حتى الغروب. فقدت الوعي. كانوا قد خلعوا جميع ملابسي ما عدا الداخلية وأنا معلق رأساً على عقب. وليلتها قطعوا الحبل وأنزلوني، لكنهم لم يعطوني أي ماء ولا طعام.<sup>68</sup>

قال نوري: "وضعوني طوال الوقت في زنزانة منفردة:

كان ارتفاعها يزيد قليلاً على مترين: كانت يدي تطول سقفها. لم تنسع بما يكفي لاستلقي؛ فاضطررت إلى النوم وأنا شبه واقف. كانت أشبه بالصندوق المعدني.

في اليوم التالي، أمروني بارتداء سائر ملابسي واقتادوني للضابط المحقق. قال لي: "هل أعجبك هذا؟ سنفعل هذا بك أكثر وأكثر حتى تعرف". سأله: أتعرف بماذا؟ "بالعمل الذي تقوم به وبالمنظمة التي أنت عضو فيها، وبأنك طنطة" [أي رجل مخت.].

قال نوري: "تحدث الضباط عن الدين، وقالوا إن ما أفعله ضد الدين. كلما أثاروا موضوع الدين كانوا يستفزون وبصريون ضرباً أشدّ". لكنه أضاف أن أهم ما كان يدور في رأسهم هو المال. "كانوا ملمين بالاسم - "عربي إلى جي بي تي" - وكانوا يعرفون أنها تقدم المساعدات المالية للمثليين. وكانوا ملمين بأمر الديار الآمنة. لم يرغبو في معرفة أي شيء سوى: "من الذي يدفع؟ ولماذا يساعدونكم؟"

عندما استجوبوني كانوا يقولون: "عليك أن تعرف". وقلت لهم: ليس لدي ما اعرف به. ثم عرضوا علي تقرير شرطة قرأتة وكان فيه كل شئ عنى منذ عام 2005 وحتى يوم القبض على... كانوا ملمين بتفاصيل شخصية من خلال مخبرين "جاي". ثم اقتادوني إلى غرفة أخرى وبدأوا في تعذيبني من جديد.

كان الحراس في الثياب الرسمية ينتشرون في أنحاء مبني الوزارة ، أما الذين استجوبوني فكانوا دائمًا يرتدون ملابس مدنية. كانت لديهم أزيائهم الرسمية التي يرتدونها أثناء ساعات العمل الرسمية؛ لكن الاستجوابات كلها كانت تتم بعد الثالثة مساءً أي بعد مواعيد انتهاء العمل بالمكاتب. إذ كانت الاستجوابات في منتهى العنف، فأعتقد أنهم لم يريدوا أي صراخ أثناء زيارة الجمهور للمبني.

استمر الضرب المبرح لمدة أيام، مصحوباً بالشتائم والإذلال المستمر. أمضيت في الحبس 25 يوماً والتعذيب استمر لمدة 25 يوماً، كان عددهم 9 وكانوا يعملون في مجموعات من ثلاثة أشخاص، وتتغير كل يوم المجموعة الثلاثية، فكل يوم كانت المجموعة تتكون من ضابط ذو رتبة ومعه اثنان ذوي رتبة أقل، وكان الثالثة يذبونني كل يوم لمدة 4 أو 5 ساعات.

<sup>68</sup> هذا الحوار وما يلته مأخذتين من لقاء ليومن رايتس ووش مع نوري، 15 و 27 أبريل/نيسان 2009، بيروت - لبنان

كل يوم كان نفس النوع من التعذيب، كانوا يضربونني في جميع أجزاء جسمي، وذلك عندما كنت معلقاً رأسياً لأسفل. كانوا يستخدمونني مثل دمية الملاكمه وكان ذلك يحدث كل يوم. الآن أصبحت بالصداع النصفي بسبب كم الوقت الذي أمضيته معلقاً مقلوباً. أصبحت أعايني من الرعشات والصداع. استخدموا عصا الصدمات الكهربائية في كل جزء من جسمي.

ثم اغتصبوني على مدى ثلاثة أيام. حدث هذا قرابة انتهاء المدة. في أول يوم اغتصبني خمسة عشر رجلاً منهم؛ في اليوم الثاني، ستة؛ في اليوم، أربعة. في كل مرة كانوا يضعوا حقيقة على رأسي.

أرانا نوري بعض الندوب على معصمي، وهو يجهش بالبكاء، وقال "حاولت قطع شرائيني بملعقة بلاستيكية بعد حوادث الاغتصاب."

حاول ضابط واحد فقط مساعدتي من ضمن التسع الذين كانوا يتولون تعذيبني. كان عضواً في فريق التعذيب ولكنه، قال لي أنه لم يرسل تقرير الشرطة الخاص بي إلى القاضي الذي - حسب ما قال - سوف يصدر على الحكم. وأخبرني أنه سينفذ حياتي إذا أعطيته رشوة قدرها خمسة آلاف دولار.

وذات يوم، صعدوا بي إلى الدور الأخير، حيث نافذة صغيرة تطل مباشرة على الفناء. أعطوني نظارة معظمة لكي أنظر منها. تمكنت فعلاً من الرؤية: رأيت الرجال الخمس الذين كانوا في الزنزانة في أول الفترة عندما ألقى القبض على. كانت جثثهم الهمامدة ملفاة على الأرض. كانوا قد أعدموهم.

ثم لوحوا أمامي بورقة وقالوا لي إنها حكم المحكمة الذي يأمر بإعدامهم. قلت لهم أعطوني الهاتف، واتصلت بصديق في لندن.<sup>69</sup>

<sup>69</sup> رغم ما قاله نوري من أقوال الضباط التي تقييد بأن تلك الورقة كانت "حكم محكمة"، هو لم يطلع عليها، وكذلك لم يفصح رجال الشرطة عن التهمة التي أدت إلى حكم الإعدام المزعوم الذي قتلوا الرجال بمقتضاه. وفيما يلي، انتشرت في العراق منذ عام 2003 أحكام الإعدام السرية التي يحكم بها القضاة. (أنظر على سبيل المثال، Brian Bennett, "The Secrets of Iraq's Death Row," *Time*, November 12, 2006, اطلعنا عليه في 3 مايو / أيار 2009.)، ولكن، في حالة إعدام الرجال بشكل قضائي، تظل طبيعة التهم غير واضحة، فبمقتضى القوانين التي وردت أعلاه - وهي القوانين التي يُحتمل استخدامها ضد الممارسات المثلية أو ضد المدافعين عن حقوق الإنسان الذين يتّهبون النوع الاجتماعي أو التوجه الجنسي - فأشد عقوبة يفرضها (في المادة 200) هي الحبس لمدة لا تزيد على سبع سنوات.

في أبريل/نيسان 2009، أعطت مؤسس "عرافي إل جي بي تي" إلى هيومن رايتس ووتش نسخة من رسالة تم تهريبها من أحد مقار الاحتجاز العراقي، فيما يزعم. وقال كاتب الرسالة أن قوات وزارة الداخلية الق القبض عليه:

"قاموا بضربي بشدة ووجهوا لي أسلحة غريبة مع الفاظ نابية وركلات على رأسي ومؤخرتي لانتزاع أقوال ملقة بسبب انتهائي لمنظمة Iraqi LGBT ومن ثم نقلوني في إلى محكمة الجنائيات في الكرخ وبمحاكمة سريعة جداً أصدروا علي حكمًا بالإعدام دون أعطائي حق الدفاع عن نفسي أو توكيل محامي، ... وبعدها بيومين أبلغوني بتنفيذ الإعدام خلال الأسبوعين القادمين،... وأخيراً

أرسل الصديق من لندن الأموال لأحد معارف نوري ببغداد، وأعطهاه بدوره إلى الضابط:

بعد ذلك، في حوالي الثالثة صباحاً ذات ليلة جاءني الضابط وأعطاني زياً عسكرياً وقناعاً للرأس - قناع يغطي الرأس كلها فلا ترى منها إلا العينين. يتغير الحراس في وريديات، فيذهب ويجيء بعضهم من المكان، وهربت أنا عن طريق مغادرة المكان مع الجنود - كنت أخرج من آثار التعذيب لكنه أراني طريقة المشي العسكري مثل الجنود لكي لا تقع على أيه شبهة. أخذني إلى الخارج ووضعني في حقيبة السيارة وأنزلني في أحد الطرقات على أطراف المدينة. مشيت بعدها لمدة ثلاثة ساعات.

---

أقدم لكم استغاثتي، هل من معين لي قبل فوات الأوان؟". (مسح الكتروني للرسالة بملفات هيون رايتس ووتش)

لم يرد أي تاريخ بالرسالة، كما لم تذكر الرسالة التهم (وذلك على افتراض أن الضحية كان يعلمها أصلاً) كما أخبرتنا منظمة عراقي إل جي بي تي إنهم قد تلقوا هم الآخرين، من مصادر في بغداد، أسماء أربعة عراقيين آخرين هم أيضاً قيد الاحتجاز وواجهون الموت. ومن الممكن إن تاريخ هذه المعلومة يعود إلى فبراير/شباط وإن هؤلاء الخمسة هم من رأي نوري جثثهم.

كتبت هيون رايتس ووتش رسالة إلى وزارة الداخلية العراقية ووزارة حقوق الإنسان بتاريخ 3 أبريل/نيسان، موجهين إليهم طلبًا عاجلاً للمعلومات التي تخص مكان هؤلاء الرجال الخمس ومصادرهم. ولم تلق أي رد.

وفي حالة ما إذا كانت هذه الرسالة حقيقة، فلا يزال من المحال التأكيد من أن تلك "المحاكمة" كانت عملية قضائية فعلية، ولا أن "حكم المحكمة الذي لوح به رجال الشرطة أمام نوري كان حقيقياً. فقد تكون هذه مجرد حالات قتل خارج نطاق القضاء نفذتها قوى وزارة الداخلية.

في 27 مارس / آذار 2009 أذاعت منظمة "عربي إل جي بي تي" المعلومات الواردة في هذه الرسالة على الملايين عبر الإنترنت، لتجنب ما اعتدلت إنه تنفيذ الإعدام المعتمز تنفيذه في الأشخاص الخمسة. وأنذررت أن "نحتاج إلى اتخاذ خطوات عاجلة لوقف إعدام 128 معتقل محكم عليهم بالإعدام في العراق. وحكم على الكثير من ينتظرون الإعدام بتهمة "جريمة المثلية" ( جريمة المثلية ) Members of Iraqi LGBT Group on Death Row: Action Needed to Halt Judicial Executions," March 27, 2009, at <http://iraqilgbtuk.blogspot.com>

واطلعنا عليه في مايو / أيار 2009. أما مصدر هذا الرقم هو بيان أصدرته منظمة العفو الدولية قبيل ذلك في نفس الشهر، وكان البيان يخص الإعدام المزمع تنفيذه في 128 المدانين بالعراق. (Amnesty International, "128 Face Execution in Batches of 20," March 12, 2009, at <http://www.amnesty.org/en/for-media/press-releases/iraq-128-face-execution-batches-20-20090312>

واطلعنا عليه في 4 مايو / أيار 2009. لم يكن لدى منظمة العفو الدولية ما يدل على توجيهاته تهمة السلوك المثلية لأي من هؤلاء الرجال، ورغم ذلك افترضت منظمة "عربي إل جي بي تي" - والتي لم يكن لها أي حدث مع نوري منذ الإفراج عنه أن الرجال الخمس على قيد موجودين ضمن العدد الكبير المحكوم عليهم بالإعدام.

بناء على هذه الأدلة انتهت هيون رايتس ووتش إلى أنه إذا كانوا الخمسة الذين ذكرت أسماءهم "عربي إل جي بي تي" قد أعدموا بالفعل، فإن ذلك قد حدث من ذي قيل أي عند القبض على نوري في فبراير/شباط. ولكن البيان الصحفي الذي أصدرته "عربي إل جي بي تي"، والذي زعم أن "الكثيرون" من الـ 128 صدر عليهم الحكم بتهمة "المثلية"، أدى بغير قصد إلى حالة من البلبلة ما بين الناشطين والمدونين في كل من أمريكا وأوروبا، حيث وبدأت حملة جمع توقيعات عبر الإنترنت على بيان يطالب بـ"إنقاذ حياة 128 معتقلًا محكم عليهم بالإعدام لأنهم مثليين"، والمزاعم الباطلة بأن جميع المحكوم عليهم بالإعدام من الـ "جاي" انتشرت انتشاراً واسعاً. أنظر: (Everyone Group

"Petition to save the lives of 128 homosexuals sentenced to death in Iraq," April 3, 2009, [http://www.everyonegroup.com/EveryOne/MainPage/Entries/2009/4/3\\_Petition\\_to\\_save\\_the\\_lives\\_of\\_128\\_homosexuals\\_sentence\\_to\\_death\\_in\\_Iraq.html](http://www.everyonegroup.com/EveryOne/MainPage/Entries/2009/4/3_Petition_to_save_the_lives_of_128_homosexuals_sentence_to_death_in_Iraq.html)

. واطلعنا عليه في 14 أبريل/نيسان 2009. وسرعان ما وضحت "عربي إل جي بي تي" بأنها تعتقد إن خمسة فقط من الـ 128 هم "جاي". ولكن المعلومة الخاطئة ظلت تنتشر.

عندما طلب مني الرشوة، اعتقدت أنه سيأخذها ويقتلني. لم أصدق إنني سأعيش إلا بعد أن خرجمت  
من حقيقة السيارة.

## IV. الذريعة والسياق: الهلع الأخلاقي والانتهازية السياسية

تستند جرائم القتل التي نفتها الميليشيات إلى الشريعة الأخلاقية باعتبارها الذريعة. ولكن الواقع أنهم غرسوا وتدأ في التيار الأعمق لبواعث الفلق الاجتماعي فيما يتعلق بالقيم "التقليدية" والتغيير الثقافي. ظهرت هذه المخاوف في الصحافة اليومية إلى جانب خطب الجمعة، وتتخذ النوع الاجتماعي محوراً لها، وتتركز على الأخص على فكرة أن الرجال فقدوا "رجولتهم" وصاروا يرسبون في اختبارات الرجلة التقليدية.

كتب ستانلي كون، وهو عالم اجتماع بريطاني، منذ قرابة 40 عاماً أن: "يبدو أن المجتمعات عرضة، من حين لآخر، لفترات من الهلع على الأخلاق"، وهي موجات لا عقلانية من الذعر حيث "يظهر حال أو حدث أو شخص أو مجموعة من الأشخاص ويعرفها المجتمع على أنها تمثل تهديداً للقيم والمصالح المجتمعية". وفي مثل هذه اللحظات، تزداد وتتضارب الشكوك العميقية المتعلقة بالتغيير السريع، وتزداد بقوة تؤدي إلى تهميش العمليات المعتادة، سواء كانت سياسية أو مدنية أو شخصية، التي تتيح عادة لهذه المجتمعات المحلية مناقشة وحل مصادر توتركها. فيبحث الناس عن كبس فداء، ليس فقط لشرح التحولات المقلقة المحيطة بهم بل لتجسيدها، وهم لا يفهمون هذه النقلات لكنهم مصرون على وقف زحفها.<sup>70</sup>

يطلق الباحث ستانلي كون على حالات الهلع على الأخلاق "أشكال من الكفاح السياسي المضغوط هدفه التحكم في وسائل إعادة الإنتاج الثقافي".<sup>71</sup> وفي قول أبسط: هي معارك تهدف إلى تحديد من له حق الانتماء إلى مجتمع محلي ما منن ليس لديه هذا الحق. وتدار المواجهات بأسلحة الرأي، في عواميد الصحف وأماكن العبادة - وأحياناً باستخدام أسلحة العنف وهي المشقة والمسدس. وتشير جرائم القتل العمد في العراق إلى مثل هذا الصراع، ومثل هذا التجمع المعقد من المخاوف، بعينه.

اعترفت المجلة العراقية الأسبوعية في مايو/أيار 2009 وفي أوج حملة القتل، إن "الشیالله" يستهدفون المثلين. ولكن الصحيفة لم تلم القتلة بل لامت "الجراوي"، بصفتهم رجال مصرون على التصرف كأنهم ليسوا رجالاً.

موجة "أنثوية" تجتاح بعض الأحياء البغدادية يتحول معها فريق من الشبان إلى نساء أو ما يشبه النساء عن طريق التمثيل بالفتيات. إنهم المثلين جنسياً أو "الجراوي" (التسمية المحلية التي تطلق على المخنثين) الذين يعانون من "الشیالله" وهم مجموعات تصطادهم وتقتلهم في معظم الحال، والشرطة تتفرج...

في مدينة الصدر بحثنا عن "الجراوي": أو المخنثين ولم نعثر لهم على أثر. ويقول على حسن من سكان المدينة... أن الشهر الحالي شهد أحداً كثيرة غيرت الكثير من الأمور أولها تخلي الشباب عن موضة الكلاسيكي الضيقة جداً وإطالة شعر الرأس وإزالته من الوجه، فالكل يقول إن هناك

.Stanley Cohen, *Folk Devils and Moral Panics* (London: Routledge, 2002, third edition), p. 1<sup>70</sup>  
XXXV<sup>71</sup> المصدر السابق ص

لجاناً خاصة أو جماعات تصفى كل من يضع خلطة مبيض للوجه، كما إن الصيدليات هي الأخرى خلت من هذه المواد لا سيما الهرمونات الأنثوية التي كانت منتشرة في الفترة الأخيرة. ويؤكد على أنه لم يشاهد أياً من مظاهر العنف. لكن يشاع وبقوة عن وجود جماعات وعيون خاصة تؤمن بهذه الجماعات معلومات كاملة عن الشاب الذي يتناول هرمونات أنثوية أو يضع خلطات تبييض الوجه ويطيل شعر رأسه لتم زيارته في وقت متأخر من الليل واقتنياده من منزله...

ياسر حميد صاحب أحد المقاهي في باب المعظم. ياسر يؤكد أنه يطرد كل من يشك في إنه من هذه "الأصناف" كما أنه منع أولاده من شراء الملابس الغربية التي تملأ الأسواق ومنها الفحصان الضيقة جداً والبناطيل الضيقة التي لا تصل إلى وسط الجسم. وهو ينتقد هذه الأمور التي يراها بداية انحلال أخلاقي. فالشاب يرتد ملابس معيبة ويصف شعره بشكل غريب ويرتدي الأساور والقلائد ويضع الماكياجات على وجهه.

أما الدكتور بهاء جعفر أستاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد فيعلق على هذه الظاهرة بالقول: أنها تحول اجتماعي سلوكي ذو خطين. الأول مدوم ومسيس والآخر عشوائي سببه الثقافات الهرجينة التي اجتاحت المجتمع وسقوط المثل العليا وتركها الأخلاق والإصلاح وسعيها وراء المناصب والسياسة والمصالح الخاصة. ومن الآثار السلبية التي نتجت عن إفحام الدين في طبخات السياسة وصفقات المناصب والنزاعات المسلحة تحول فئات اجتماعية كثيرة نحو هذه السلوكيات. بعدما أصابتها خيبة أمل. وما يلاحظه أستاذ الاجتماع ويسجله على هذه التغيرات هو تغير طبيعة الطلاب من الخشونة إلى الميوعة وبشكل مبالغ فيه. حتى أنه يختار في بعض الأحيان من التفريق بين طلابه وطالباته. اللهم إلا الأيدي وحجمها والأقدام وأمور أخرى. وبالتالي فإنه يتوقع أن تترسخ هذه الظواهر في المجتمع إذا ما سمح لها بالاستمرار. وحقيقة الأمر أن القوانين لا تمنع هذه الظواهر الشاذة وليس هناك نص قانوني أو تشريع يمنع الشاب من التمثيل بالبنت أو العكس خصوصاً في المظهر الخارجي.<sup>72</sup>

وفي مقال مشابه، حذرت صحيفة الصباح في مايو/ أيار من "تخنيث الشباب: تشخيص وعلاج"، وزعمت أن "التشبه بالنساء أصبحت منظراً شائخاً المدن حتى بدا ما يرافقها من شذوذ".

إن المسؤولية الأخلاقية تقع على الجميع من علماء ومدرسين وإعلاميين ومتقينن أضفإلى ذلك أولياء الأمور والتعاون مع إدارات المدارس الثانوية من مرشداتن اجتماعية ونفسين ومربيين... إن تأثيرات العولمة، في الموضة، والمسلسلات المدبجة وتأثيرها كبير جداً على قطاع الشباب بمحاولة تقليد الآخر، في الملبس والحركة والموديل.

لكن الواقع الديني والأخلاقي والتمسك بقيم الموروث العربي ينبغي أن يتواصل بين الأجيال... وعدم التشبه بالنساء، بالسلوك الشائن، ووضع المكياج والمساحيق حتى أصبحت سمة

<sup>72</sup> حرب "الجراوي" و"الشيلة" الأسبوعية ٢٥ - ٢٦ مايو / أيار 2009

الكثير من شباب اليوم والتي تثير القرف والاشمئاز وتخل بعملية البناء الاجتماعي السليم الذي يفضي إلى بناء ثقافي رصين، وعمل جاد للنهوض الاقتصادي، ويؤثر في المستوى العلمي، وبالتالي يحصل إلهاق في المستوى الدراسي والعلمي.<sup>73</sup>

من غير المحتمل أن تكون قد حدثت طفرة مفاجئة في عدد الشباب الذين يطيلون شعرهم حتى بلغ كتفيهم في شهر واحد. ولكن ما قاله لنا عدد من الرجال الذين تحدثنا معهم هو أن انحسار العنف في السنين الماضيتين كان من تأثيره، بمرور الزمن أن سمح للرجال المثليين بقدر أكبر من الظهور والشعور ببعض الأمان. فقال أحدهم:

منذ 2006، بدأ "الجاي" في اكتساب نوع من أنواع الراحة؛ كان الموضوع لا يزال في الخفاء إلى أقصى حد وفي منتهی السرية، ومع ذلك أتيحت إمكانية الالتقاء من خلال الإنترن特، وأتيحت بعض المقاھي؛ كان لدينا ما شابه حياة "الجاي". وطبعاً إذا كشف أي شخص أمرك كنت ستقع في ورطة كبيرة وتلتصق بك وصمة عار طيلة عمرك؛ ولكن إمكانية اللقاء كانت متاحة بدون أن تُقتل. ثم في الشهر الماضي تدهور الوضع.<sup>74</sup>

أخبرنا ضابط في الجيش العراقي: "سمعت غيري من الضباط يتحدثون عن الدافع وراء هذه الحملة بالتحديد. منذ حوالي عام، عندما كان العنف في حالة أهداً قليلاً وكان الأمان تحت السيطرة إلى حد كبير، بدأ الرجال المثليين، وخاصة المختلطين منهم، في الخروج إلى المقاھي في مجموعات، وكانت واضحين في مثليتهم. سمعت أن الغضب ازداد بسبب ذلك، وأن هذه من الأمور أشعلت الحملة في الآونة الأخيرة".<sup>75</sup>

ساعدت التكنولوجيا على نشر حالة الذعر حول الرجال "المختلطين". وحدث واحد على الأخص تم تصويره بالفيديو وغالباً كان تأثير هذه المادة المصورة تحديداً بالغ الضرر. قال نوري: "في صيف 2008 أقيم حفل "جاي" كبير في شارع فلسطين في بغداد. كان بالحفل رقص كثير كما كان به رجال يرتدون ملابس النساء: كان واضح جداً أنه حفل جاي. وبدأ الناس في تصوير الحفل على تليفوناتهم محمولة وانتشر بالبلوتوث وعبأ البعض في أسطوانات مدمرة وطرحوها للبيع في أماكن متفرقة في بغداد وخاصة بمدينة الصدر"<sup>76</sup> حصلت هيومن رايتس ووتش على اثنين من ضمن هذه المواد المصورة، وظهر فيها رجال يرقصون معاً بالحفل. وأخبرنا صحفى أنه منذ أوائل عام 2009، "بدأت الصور ومواد الفيديو "الجاي" في الظهور بمنتهى السرعة. فالناس تصور الرجال الذين يرتدون ملابس النساء على تليفوناتهم محمولة ثم تنتقل المادة من هاتف إلى آخر بسرعة جنونية".<sup>77</sup>

أما خطب الجمعة بالجوامع الشيعية، وبخاصة تلك الجوامع التي لها صلات بالصدر وبالجيش المهدى، سواء في مدينة الصدر أو غيرها من المدن، فقد بدأت في التنديد بنوع من "التخنيث" الذي لا يقاوم موجود في الرجال في أوائل عام 2009 وأخبرنا هيثم: "سمعت بأذني الخطب، منذ حوالي شهر، بالجامع في بغداد الجديدة، يؤثر فيها الصدر تأثيراً

<sup>73</sup> صباح محسن كاظم: "تخنيث الشباب: تشخيص وعلاج" الصباح - 7 مايو / ايار 2009

<sup>74</sup> لقاء أجرته هيومن رايتس ووتش مع هيثم (اسم مستعار)، العراق، 18 أبريل/نيسان 2009.

<sup>75</sup> لقاء أجرته هيومن رايتس ووتش مع وحيد (اسم مستعار)، العراق، 23 أبريل/نيسان 2009.

<sup>76</sup> لقاء أجرته هيومن رايتس ووتش مع نوري (اسم مستعار)، بيروت، 15 أبريل/نيسان 2009.

<sup>77</sup> لقاء أجرته هيومن رايتس ووتش مع سمير (اسم مستعار)، العراق، 24 أبريل/نيسان 2009.

فربما. فيقولون "هذا الأمر عيب وحرام"؛ لا ينادون بقتلهم بشكل محدد وبمباشر، ولكنهم يقولون "يجب أن نقضي على هذه الظاهرة". وأصبحوا الآن يتضمنون شيئاً في هذا الموضوع في خطبهم شبه أسبو عياً.<sup>78</sup>

أخبرنا طلال أن في حي نهروان ببغداد "أصبحت القضية موضوعاً للجدال المستمر، حيث يعقد رجال الدين والميليشيات اجتماعاتهم هناك ويتحدون عن هذه القضية وعن ضرورة التحكم في اللواط وقوم لوط" وأخبرنا أن في إحدى المدارس المحلية في أوائل أبريل/نيسان، "دخل الجيش المهدى إلى المدرسة، وتحدونا مع المعلمين والإداريين، ثم عقدوا اجتماعاً حضرته المدرسة برمتها قائلين، "لا بد من وضع حد لهذه الظاهرة". عرفت ذلك من صديقاً لي يعمل معلماً هناك. وكانت البلدية المحلية ذاتها هي التي نظمت تلك الاجتماعات"<sup>79</sup>

وتركت حالة الذعر وحملة القتل على شكل المرء وملبسه (أي إذا ما كان يبدو الرجال على قدر كاف من "الرجلة")، بقدر ما تركت على استنتاجاتها عما يفعل المرء في الفراش، وزاد على ذلك أنه بعد أن بات العراق غارقاً في الفقر وال الحاجة لمدة العشرين عاماً الأخيرة، يتضاعف الحقد الطبقي بأشكاله مع الشروط الجامدة والمطلوبة من الذكور والإثاث. وأكد لنا الكثيرون أن الانحلال، لا الطابع الأنثوي فقط، وإنما وجود هالة من التمييز الطبقي أو الممتلكات المادية - يعد من الأنماط الجامدة حول "الجنس الثالث".

أجرت هذه الأوهام القاتلة عن شكل العادات الغربية والدخيلة أشخاصاً عديدين على فحص أنفسهم فحصاً شديداً في الشهور الأخيرة. حسين يسأل نفسه "لماذا يستهذفوني"... كان قد صرف آخر دينارات قليلة لديه في شراء عليه سجائر، لكنه لا يزال يدرك أنه - بالنسبة لبعض إخوانه العراقيين - يبدو عليه من الغنى ما يدفع البعض لقتله. "كما يتعلق ذلك المعتقد بشكل كبير بمظهري : فأنا مرتب المظهر ومهنم الملبس لو رأى رجال الجيش المهدى أنتي أرتدي قرطاً ذهبياً أو أطيل شعري، سينبذلوني. انظروا إلى: لقد حلقت شعري فأصبح قصيراً ومع ذلك إذا خرجت إلى بغداد، حتى بعد ذلك، ولو لمدة ساعة، ستأعرض لقتل:

ما الذي يجعل الناس تظن إنك "جاي"؟ إذا صفت شعري بطريقة الـ "سبايكى" أو وضعت فيه "الجل" - يقول الكثيرون أن هذه هي العلامة. إذا ارتدت "تي شيرت" ضيقاً أو قميص بلا أكمام، إذا ارتدت ولو قطعة واحدة من الذهب أو المصوغات... الأمر يرجع إلى الحقد الطبقي في بعض أشكاله. فالرجال الذين يستهذفونهم يرتدون ملابس جيدة ويعبرون عن أنفسهم بأسلوب راقٍ، فالامر

<sup>78</sup> لقاء أجرته هيومن رايتس ووتش مع هيثم (اسم مستعار)، العراق، 18 أبريل/نيسان 2009. ورد في صحيفة النيو يورك تايمز في أبريل/نيسان إن "رجال الدين ذوي العلاقات بمقتضى الصدر... يكرسون جزءاً من خطبة الجمعة لإلقاء العرائض ضد المثلية الجنسية. وقال الشيخ جاسم المطيري في خطبته يوم الجمعة الماضية، "يجب تطهير المجتمع من السلوك المنحرف كالسرقة والكتب وظاهرة التختين بين الرجال". Timothy Williams and Tareq Maher, "Iraq's Newly Open Gays Face Scorn and Murder," New York Times, April 8, 2009.

وبلغ من تلك المخاوف أن حتى الجماع السنوية شاركت فيها، وبصوت عالٍ: أخير أحد الرجال (وكان مسيحيّاً) هيومن رايتس ووتش أنه "اثنان سيري في الطريق سمعت خطيب الجمعة بجامع سني يلقي خطبته عن مسلسل اسمه نور والشيخ كان يصرخ بشأن بطل المسلسل، ويقول، "جميع النساء يرددن الواقع في غرامه لكنه من الجنس الثالث؟" لقاء أجرته هيومن رايتس ووتش مع طارق (اسم مستعار)، العراق، 18 أبريل/نيسان 2009. والمعروف أن مسلسل نور هو نسخة مدبلجة من المسلسل الأجنبي *Gümi & Gümi* ويعشقه معظم العالم العربي ويتابعون مواضيعه التي تتناول قضايا شائكة من أمثل ممارسة الجنس قبل الزواج والإجهاض. ومن الطريف أن مهند بطل المسلسل في الواقع يحب النساء ومتزوج ولكنه يساند استقلال زوجته ويشجعها في مسقبلها المهني ولذلك أصبح الممثل (ذو الشعر الطويل) الذي يمثل دوره، ليس فقط معيوداً للنساء، بل رمزاً لأدوار الجنس والنوع الاجتماعي غير التقليدية، وعلا صوت الكثيرون من الأصوليين والسلفيين الدينيين في دول كثيرة شجّعاً للمسلسل.

<sup>79</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طلال (اسم مستعار) - العراق - 21 أبريل/نيسان 2009.

عبارة عن حنق ضد الذين يرونهم باعتبارهم مرفهين.... فمثلاً، إذا ارتدت العطر أول ما يسألونه إياك هو "من أين لك المال لتشتري هذا؟" ولو ردت — وهذه هي الحقيقة — إنني لم آكل لمدة ثلاثة أيام لأنكم من شراء هذا العطر، أو لكي يتتوفر لدى فائض يسمح لي بشراء ذاك القميص، ذلك لا يزيد إلا غضباً.

"الجاي" فريسة سهلة. ليست لديهم أية مساندة اجتماعية، ويمكن التعرف عليهم وسط غيرهم بشكل سهل. يمكن هؤلاء الأشخاص من صب حنقهم الطبقي في استهداف هؤلاء الرجال. وبهذا يصبحون بؤرة تركيز.<sup>80</sup>

أوحى كلام الكثيرين لنا بأن الجيش المهدى يرى "الجنس الثالث" ليس فقط على أنه فريسة سهلة، بل مفيدة. وهذا تتوارى الانتهازية السياسية وراء ستار الاشتئاز الأخلاقي.

بعد أن أخذ الجيش المهدى دوراً قيادياً أمام الأنظار في تطهير بغداد من السنة في خلافات 2004 - 2006 التي كادت تبلغ حد الحرب الأهلية، رفض ذلك الجيش بحذقٍ وذكاءٍ شديدين أن يواجه القوى الأمريكية بشكل مكشوف أثناء طفرة دخول الجنود التي بدأت في عام 2007. فاخفى رجالها أسلحتهم واندمجوا في أحياهم واختفوا، وبذلك الميليشيا التي كان رجالها في كل مكان شبه اختفت بشكل عملي. ولكن حفاظ الميليشيات لقوتها من خلال الانسحاب الاستراتيجي جاء على حساب صورتها أمام الجماهير، حيث كانت تود أن تظهر في صورة قوة لا تتهاون ولا تتراجع. وزاد الأمر سوءاً بسبب الشائعات القائلة أن مقتضى الصدر (والمعروفة أسرته بترااث قوي من القومية العراقية) لم يتراجع من الجيش الأمريكي فحسب، بل لاذ بالقرار واحتى بيiran.<sup>81</sup> وخدّس أحد الأطباء الذين التقينا بهم أن السبب في بدء الحملة كان أن الجيش المهدى "لا كلمة لهم لدى رجل الشارع: لذا فهم يريدون استغلال هذا الأمر كوسيلة لاستعادة مصداقيتهم".<sup>82</sup>

قال الشيخ إبراهيم الغراوي في إبريل/نisan 2009، وهو فقيه شيعي ينتمي إلى مكتب الميليشيا بمدينة الصدر، عندما سألته وكالة أنباء غربية بشأن حملة القتل، أن المثلية "انتشرت بسبب غياب الجيش المهدى وانتشار الأفلام الإباحية والقنوات الفضائية وغياب الرقابة الحكومية".<sup>83</sup> كانت رسالته واضحة: عادت الميليشيا، ولكن غيابها الخارج عن إرادتها أدى إلى سقطات أخلاقية وليدة، والبلاد في حاجة إلى خدماتها من جديد لإعادة إرساء دعائم الصرامة الأخلاقية التي تعجز الدولة عن توفيرها. فتطهير العراق من هذه الفئة التي لا يدافع عنها على الملايين يضفي على الميليشيات رونقاً مجدداً من الأهداف العاجلة التي لا يمكن إنكارها. وقال حسين، مشيراً إلى قوات الصدر: "الآن انتهاوا من أمر السنة والشيعة، فتهيا لهم أمر جديد، وهو "الجاي"... وجدوا فئة جديدة ليقتلوها".<sup>84</sup>

<sup>80</sup> مقابلة لبيومن رايتس ووتش مع حسين (اسم مستعار) - العراق - 23 أبريل/نisan 2009.

Patrick Cockburn, *Muqtada: Muqtada al-Sadr, the Shia Revival, and the Struggle for Iraq* (New York:Simon and Schuster, 2008), pp. 187-198

<sup>82</sup> مقابلة لبيومن رايتس ووتش مع فادي (اسم مستعار) - العراق - 18 أبريل/نisan 2009.

Wisam Mohammed and Khalid al-Ansary, "Gays Killed in Baghdad as Clerics Urge Clampdown," *Reuters*, April 4, 2009, <http://uk.reuters.com/article/gc05/idUKTRE53312Q20090404>

اطلعنا عليه في 5 أبريل/نisan 2009.

<sup>84</sup> مقابلة لبيومن رايتس ووتش مع حسين (اسم مستعار) - العراق - 23 أبريل/نisan 2009.

كما علق أحد الصحفيين إن: "لم يعد لدى الجيش المهدى مشروع واضح. تقلص أمرى التخلص من السنة والأمرىكيين في الأهمية، فاتجهوا إلى أهداف أخرى". كما أضاف:

أعضاء كثيرون في الجيش المهدى لم ينضموا من منطلق الدين. فأنا أعرف رجال ميليشيات يشربون الخمور ويتعاطون المخدرات ويمارسون الزنا. بل انضموا للميليشيات لأن قلوبهم ماتت، فالميليشيات تتيح لهم قتل الناس فحسب دون تفكير.

هؤلاء الأشخاص من نتاج العنف ويستمر في نشره لغيرهم. تعلموا العنف من الفقر ومنذ عهد  
صدام فلا يعرفون سواه.<sup>85</sup>

يمكننا القول بأن حملة القتل هذه تمثل أداة سياسية بالنسبة للميليشيات. أما بالنسبة للقتلة - فالأرجح أنهم من صفوف أكثر أفراد المجتمع فقراً وعوزاً، فتعطّيهم الحملة سلطة بلا منازع يتحكمون بمقتضاهـا في أخص وأضعف جوانب حياة الآخرين بل وجودهم ذاته.

قال حامد، الذي اختطفوا شريك حياته وقتلوا: لا يمكن إخفاء أي شيء في العراق، فأي شيء يخصك قد يصبح معروفاً لدى الجميع.<sup>86</sup> وأخبرنا وحيد أن العراق شهدت "انتهاكاً مستمراً لخصوصية الناس: ينتهكها الميليشيات والقوى السياسية والجميع، فبلغ الأمر إلى حد أنه إذا كان الرجل شيعي وزوجته سنية سيجبرونه على الطلاق لا لشيء سوى للتحكم فيهما. فلهم رغبة في احتلال جميع خصوصيات حياة الناس وفرض السيطرة عليها".<sup>87</sup>

أما حسين فلخص الوضع قائلاً:

الأمر ينتشر هكذا: القتل يتيح لبعض الناس أن يتسلطوا على الآخرين. فإذا شكل أي شخص في أنتي "جاي"، يمكنهم ذلك من الحصول على أي شيء مني، المال أو الجنس أو أي شيء، وإذا أرادوا أي شيء من أي شخص يكفي أن يقولوا "أنت جاي".

الحملة والخوف أصبحا أمراً يمكن استغلاله ضد أي شخص، لمجرد التسلط.<sup>88</sup>

<sup>85</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع سمير (اسم مستعار) - العراق - 24 أبريل/نيسان 2009.

<sup>86</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع حامد (اسم مستعار) - العراق - 24 أبريل/نيسان 2009.

<sup>87</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع وحيد (اسم مستعار) - العراق - 23 أبريل/نيسان 2009.

<sup>88</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع حسين (اسم مستعار) - العراق - 23 أبريل/نيسان 2009.

## ٧. العائلة والنوع الاجتماعي و"الشرف"

أخبرنا إدريس، وهو من نجا من محاولات الميليشيا من اختطافه وقتله، "أنا من عشيرة قبلية. وخوفي منهم يفوق خشيتي الميليشيات".<sup>89</sup> أما صديقة ماجد، والذي علم أبواه وجيرانه بأنه مثلي عندما اقتحمت الميليشيا منزله، فقال لنا "إذا كنت بأمان من الجيش المهدى فلن أكون أبداً بأمان من عائلتي - أبداً - سيفتلوني على الفور".<sup>90</sup>

بينما يفاق رجل الدين والإعلام فلماً ميهماً من الذكورة المهددة، يبدأ الضغط على الشباب ليكونوا "رجالاً" من داخل البيت. وتفرض الأسر هذا الضغط عن طريق العنف، أشار الكثيرون من قابليهم إلى القيم الأبوية الصرامة الموجودة في الأنظمة القبلية، التي يؤثر فيها سلوك كل عضو من أعضائها على مقام الوحدة الممتد برمتها، وتحدثنا مع شاب مهني من بغداد عمره 25، وقال متربداً:

أبي رئيس القبيلة وبدأ في التجسس عليّ وقراءة الرسائل النصية من على هاتفه وأخذ يستمع إلى ما أقوله كلما تحدثت عبر الهاتف، وزادت شكوكه وضربني ضرباً مبرحاً... أخبرني أخي، "إذا وجد أبانا إثباتاً على أنك شاذ فسوف يقتلوك على الفور". نحن أسرة قبلية وهذا مرفوض تماماً.<sup>91</sup>

تبنت الحكومة نظم القوى القبلية وشجعتها في عهد صدام حسين وبخاصة في السنوات التي عاصرت أزمة النظام في ما بعد عام 1991، وأخذت تعذّر من سلطتها ووضعها القانوني على أمل أن يضمن لها رؤساء العشائر ولاء أعضاء أسرهم للنظام. وبذلك أعطت الدولة شيوخ القبائل سلطات حسم النزاعات والبت في الشؤون الداخلية، في حركة أطلق عليها البعض "إعادة القبيلة" إلى العراق.<sup>92</sup> وما وطد إعادة بعث النظام القبلي: العقوبات التجارية الغربية تسعينيات القرن العشرين؛ إذ أحالت مجتمعاً كان يتمتع بالرخاء إلى الفقر والعوز، وانهيار الأمن والأمان تماماً بعد الاحتلال عام 2003. فهذين العاملين أجبراً قطاعاً كبيراً من السكان على الاعتماد على صلات الدم من أجل الحياة والتكافل والحماية. فلم تعد الروابط القبلية مجرد احتياجًا ماديًّا، بل باتت خلال العملية المذكورة أعلاه، من مقومات الهوية الأساسية نفسها بالنسبة للعديد من العراقيين وحتى خارج أعمق البلاد الريفية، نجدهم يضعون شروط الحياة في المدينة: فطبقاً لتقدير علي علاوي، حوتَّ عشوائيات مدينة الصدر الضخمة "عددًا يُقدر بـ 164 قبيلة وعشيرة مختلفة"، بالإضافة إلى ما يزيد على 300 قائد عشيرة محلين بعد سقوط صدام حسين، أضطررت القوى الأكبر ذات الهوية الطائفية والتي تمتد لتشمل عدة عشائر، من أمثل الميليشيات، اضطررت لإيجاد وسائل لاستيعاب الأنظمة القبلية أو التعاون معها، حتى وهي تراها على أنها مراكز قوى منافسة.<sup>93</sup> وتشير بعض القرائن إلى احتلال مجاملة الجيش المهدى لقادة العشائر في إطلاقهم لحملتهم الأخلاقية، حيث أخبر أحد "الجلادين" من ذوي العلاقات بالصدريين أحد

<sup>89</sup> مقابلة لبيومن رايتس ووتش مع إدريس (اسم مستعار) - العراق - 24 أبريل/نيسان 2009.

<sup>90</sup> مقابلة لبيومن رايتس ووتش مع ماجد (اسم مستعار) - العراق - 23 أبريل/نيسان 2009.

<sup>91</sup> مقابلة لبيومن رايتس ووتش مع نديم (اسم مستعار) - العراق - 22 أبريل/نيسان 2009.

Faleh A. Jabar, "Shaykhs and Ideologues: Detribalization and Retribalization in Iraq, 1968-1998," *Middle East Report* <sup>92</sup> (215) (2000).

Ali A. Allawi, *The Occupation of Iraq: Winning the War, Losing the Peace* (New Haven: Yale University Press, 2007), pp. 267- <sup>93</sup> .70

الصحفيين في مايو/أيار 2009: كان لدينا الموافقة من القبائل العراقية الرئيسية هنا [في منطقة الشعب ببغداد] بتصرفية هؤلاء [الرجال] الذين يقلدون أفعال النساء.<sup>94</sup>

أما أشد الأضرار التي أحدها اجتار صدام حسين للمذاهب القبلية القانونية في عام 1991، حيث أدخل تعديلاً على قانون العقوبات ينص (في المادة 128) على أن "يعتبر عذراً مخفف ارتکاب الجريمة لبواعت شريفة أو بناء على استفزاز خطير من المجنى عليه بغير حق".<sup>95</sup> ولا يزال هذا الشرط سارياً.<sup>96</sup>

تحتل بذلك ما يسمى بجرائم الشرف مكانةً مميزةً في القانون الجنائي العراقي، شأنها في ذلك شأن الكثير من الدول الأخرى. وتأخذ هذه الجرائم حول العالم غالباً شكل العنف ضد النساء، بما في ذلك القتل العمد، بداعٍ وبرير جلها "العار" على أفراد أسرتها الذكور. تدرج أعراض الطهارة الجنسية تحت معايير "الشرف" بشكل شبه دائم، وتعد أي امرأة تمارس - الجنس أو يعتقد أنها مارست الجنس مع أي رجل قبل الزواج أو خارج مؤسسة الزواج، منتهكة لهذه الأعراف. كما تُعد أموراً أخرى من الانتهاكات التي تعرض بها المرأة سمعةً آبائها وزوجها للخطر أو تجازف بمقامهم الاجتماعي. فـأي خطأ في الزي أو أسلوب السير يمكن أن يتعدى بشكلٍ طفيف على التوقعات التي يحكمها النوع الاجتماعي والتي تفرض على النساء كيف يجب أن يتصرفن.

ورغم اتفاق الكثير من الأطراف والهيئات على أن العنف ضد المرأة أصبح يشكل أزمةً خطيرةً في العراق، تجاهلت سلطات الدولة ذلك العنف، كما ركزت معظم الجمعيات الأهلية على أنماط الهمجات "العامة" والسياسية التي تستهدف الرجال.<sup>97</sup> وفي ظل هذا الجو من التجاهل، تجاهل الجميع بشكل مضاعف مسألة إذا ما كان العنف يستهدف النساء لأي سلوك جنسي لا يتم مع الرجال وفي أبحاثها لكتابه هذا التقرير لم تلحظ هيومان رايتس ووتش في العثور على أية نساء في العراق ولا إجراء أية مقابلات مع أية امرأة خاضت تجربة العلاقة الحميمة أو الجنسية مع امرأة أخرى. فتتضافر ضغوط الزواج والانصياع للتقاليد لاختفاء هؤلاء النساء عن الأنظار تماماً ولا نجد إلا روايات يرويها توحى بما قد يواجهنه. فمثلاً أخبرنا مشعل:

<sup>94</sup> ورد في Nizar Latif, "Iraqi 'Executioner' Defends Killing of Gay Men," *The National*, May 2, 2009, .<http://www.thenational.ae/article/20090503/FOREIGN/705029847/1002>

<sup>95</sup> قانون العقوبات رقم 111 لسنة 1969 وتعديلاته: النسخة المختصرة الكاملة من الطبعة الثالثة لعام 1985 مع تعديلاتها التشريعية وما أصابها من قرارات سلطة الائتلاف المؤقتة 2003 – 2005 ، إعداد القاضي : نبيل عبد الرحمن حياوي. بغداد، المكتبة القانونية، 2008.

<sup>96</sup> ولكن في عام 2000 قام الاتحاد الوطني الكردستاني بإلغاء هذه المادة في الإراضي التي يحكمها، وفي عام 2002 فعل البرلمان الكردستاني نفس الشيء في جميع أراضي حكومة كردستان الإقليمية. ولكن بالرغم من ذلك لا تزال المخالفات قائمة من قصور عملية المحاكمة وإصدار الأحكام في أرض الواقع على الحياة الذين ارتكبوا جرائم الشرف في أراضي الحكومة الإقليمية الكردستانية. ففي تقرير صدر في عام 2009 عبرت منظمة العفو الدولية عن قلقها من أنه "في بعض الحالات على الأقل، استمرت المحاكم الجنائية في أراضي الحكومة الإقليمية الكردستانية في إصدار أحكام متباينة بشكل لا يتناسب مع الجريمة في حالات الرجال الذين ثبتت عليهم تهمة قتل إحدى قريبياتهم. *Hope and Fear: Human Rights in the Kurdistan region of Iraq*, an Amnesty International report, MDE 14/006/2009

بالإضافة إلى ذلك، كثيراً ما تمثل بعض القضايا أمام المحاكم القبلية الكردستانية والمسماة "كومالياتي" ولا تصل هذه القضايا أبداً إلى محاكم الحكومة الكردستانية؛ فيما يحده من تأثير التعديلات القانونية بشكل أكبر هو أن تنفيذ العدالة يقع في أيدي الشيوخ الأربفين.

<sup>97</sup> ولكن انظر 2009 *Trapped by Violence: Women in Iraq*, an Amnesty International report, MDE 14/005/2009. حاول العديد من الكتاب العراقيين والغربيين في كتابتهم لفت الانظار إلى العنف ضد المرأة بالعراق، سواءً أثناء حكم صدام أو أثناء الاحتلال. انظر مثلاً Nadje Sadig al-Ali, *Iraqi Women: Untold Stories from 1948 to the Present* (London: Zed Books, 2007); Nadje Sadig al-Ali and Nicola Pratt, *What Kind of Liberation? Women and the Occupation of Iraq* (Berkeley: University of California Press, 2009); Haifa Zangana, *.City of Widows: An Iraqi Woman's Account of War and Resistance* (New York: Seven Stories, 2007

سمعت عن بنت من البنات – قتلها ابن عمها في مدخل بيته لأنها "لزبيان". وقطع رقبتها بنفس الأسلوب الذي تذبح به الشاة. وفتح الباب لكي يرى الناس الجثة، كان عرضًا لغسل عاره أمام الناس. أعرف شخصًا شاهد الواقعه.<sup>98</sup>

ولكن الذكور أيضًا يحملون "شرف" أسرهم وعشيرتهم، واستمعت هيومن رايتس ووتش شهادات من رجال عراقيين واجهوا العنف أو القتل العمد بسبب افتقارهم إلى القدر الكافي من "الذكورة" وبذلك جلبو العار على الأسرة الممتدة جماعه. وتحوي هذه القصص بأهمية تناول "الشرف" على اعتباره قضية، ودافع يحفز على انتهاك الحقوق، تشمل الجنسين. كما يظهر من هذه القصص أهمية التعجيز بالقصي في الجرائم التي تقوم على أساس النوع الاجتماعي، بالإضافة إلى جرائم الشرف في العراق بجميع أشكالها – بما في ذلك المنطقة التي لم يستكشفها أحد بعد، وهي الهجمات على النساء الذين يرتاب المعذبون في إنهن يمارسن الجنس مع غيرهن من النساء، أو النساء الذين يوصمنهن زيهن أو طريقة إشاراتهن أو سيرهن .. إلخ، بأنهن يفتقرن إلى "الأئنة".

يبداً إنزال ألوان العقاب بالصغار لافتقارهم "الرجلولة" في سن مبكرة. أخبرنا طيب (24 عاماً): "منذ أن كان عمري 12 عاماً، ضربني أبي وإخوانني وشتموني بسبب مظيري وسلوكي الأنثويين. كان أبي يضربني طوال الوقت، كما كان يلسعني في يدي وذراعي بالمعدن الساخن ومثلاً كان إخوانني يبرحونني ضرباً كلما رأوني العب مع الفتيات. حاولت أمي حمايتني لكنها عجزت عن فعل أي شيء لإيقافهم."<sup>99</sup>

أخبرنا رامز (30 عاماً)، والذي ترعرع في مدينة عمارة الجنوبية، هجر بلدته وبعد ها ترك البلد برمتها بعد أن عانى من العنف الأسري لمدة سنوات:

منذ نعومة أظافري وأسرتي تعرف أتنبي مختلف، كان لدي ميل فنيه؛ كنت أُعشق الكتابة والرسم وتصميم الأزياء، بسبب هذا، كنت دائمًا أ تعرض لشتائم شديدة وإساءة باللغة في بيتي وخاصة على أيدي أخي الكبارين، كانوا يضربونني طوال الوقت لكي يتحكموا في ما يمكن أن أفعله. كانوا يقولان، أنت فاشل في كل شيء لن تصل أبداً إلى أي شيء." أما الأخ الأوسط، وهو أكبر مني كان في منتهى القسوة أكثر من غيره. في عدة مرات أشهر مدفعاً رشاشاً في وجهي.

يؤثر الأمر فيك، يؤثر فيك من داخلك، لكنني استطعت تمالك شتات نفسي. قبل الحرب [2003]، علمت بحالات كثيرة جداً من الإساءة إلى الرجال "الجاي" التي وقعت داخل الأسر. ولكن، فيما سمعت لم تقع أية جرائم قتل، فالنظام كان يعاقب مرتكبي القتل العمد بشدة بالغاة.

في عمارة عام 2003، بعد الحرب مباشرة، قُتل صديقان لي "جاي" في جرائم شرف ارتكبتهما أسرهم - ودفعوا الأموال لرجال الشرطة ليتغاضوا عن الأمر. بلغت مخاوفي المرحلة التي أصبحت

<sup>98</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع مشعل (اسم مستعار) - العراق - 20 أبريل/نيسان 2009.

<sup>99</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع طيب (اسم مستعار) - العراق - 25 أبريل/نيسان 2009.

فيها بانهيار عصبي. ... أما الآن فليس لي اتصال إلا بأمي ولا اتصال لي نهائياً بسائر أفراد أسرتي.<sup>100</sup>

أما مؤيد، فهو من مواليد بغداد، رغم أن أباه وأمه يعيشان ويعملان بالخارج منذ كان صغيراً، وقد درس بالعراق ابتداءً من المدرسة الابتدائية وحتى التertiي من دراسته في كلية الطب. وتحدث معه هيومن رايتس ووتش في بلد عربي آخر بعد فراره من بلده الأم. وقال: "طوال طفولتي، كانوا يشتمونني بالمخنث واللوطي، رغم أنني قصصت شعري وغيرت من مشيتي. كانوا يكرهون أسلوب حديثي، وكانوا يكرهون كل ما في، ولم يكن لدي أصدقاء."

كان أعمامي يحتقروني... كانوا يضعوني في وسط غرفة المعيشة ويقولون النكات ويهزأون بي: "أنظر إلى نظرته، أنظر لوضع رأسه!" رجوت أمي أن تخرجني من هذا المكان، وأن تأخذني معها إلى حيث تسكن. كان ردتها: "العراق مجتمع رجولي وقد يجعلوك رجلاً".

فقدت رغبتي في الحياة. أعمامي من رؤساء القبيلة: وقالوا لي إنني جلبت العار للقبيلة لأنني لست رجلاً. كنت آتيم بالهدايا وأبدل جهداً لأجعلهم يحبونني، وكانوا يضعوني في مقعد في الحديقة ولا يسمحون لي بدخول البيت.

ثم قابلت رجلاً واعتقدت أنه أحبني. أعطيته كل ما عندي.

بعد أربع سنوات فجأة تحول إلى الشر، وبدأ في ابتزازي طالباً المزيد والمزيد من الأموال، وقال لي: "إن لم تدفع سأستخدم صورك التي بحوزتي". وقال: "أعرف بيوت جميع أعمامك". تخيلت أنه مزاح سخيف.

ذات يوم في منتصف عام 2007 تшاجرت معه. وبعدها في نفس اليوم نادتني أختي إلى الطابق السفلي، كانت ترتعد: لن أنسى منظر وجهها أبداً. قالت: "طلبتني زوجة عمك من لحظات بالهاتف، تعقد الأسرة بأسراها اجتماعاً في بيت عمك الكبير".

كان كل عم من أعمامي قد وجد تحت بابه أسطوانة مدمجة مرفق بها رسالة. كانت الاسطوانة عليها صور لي مع عشيقتي، وأنا أقبله وأحتضنه، تعرض بشكل واضح أنني "جاي". وقالت الرسالة أنني من كبار الوظيفين ببغداد، وأنني حيّلما ذهبت مع "الجاي" كنت استخدم اسم عشيرتي وأعلنه وأخبر الناس أنني في منتهى الفخر بالانتفاء لها، وقالت الرسالة "انظروا إلى العار الذي جلبه لكم".

<sup>100</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع رامز (اسم مستعار) - بيروت، لبنان - 28 أبريل/نيسان 2009.

كانت زوجة عمي تكن لي بعض المودة البسيطة، ولها أختي أن عمami بقصد اتخاذ قرار بشأن القضاء على هذا العار. كانوا يبغون أخذني إلى بلدة صغيرة شمال بغداد وكانوا يناقشون من سيبدأ عملية ذبحي أمام الناس هناك.

كنت أبكي، وقالت أختي: "لا وقت للحديث، أفضل أن أراك في أي مكان آخر بدلاً من أن أرى اسمك على مقبرة". لم آخذ إلا لأهم أغراضي وبعض المال... كان الحي الذي يقطنه عمي بعيداً وكان عليهم عبور عدد كبير من نقاط التفتيش للوصول إلي، وكان لدى وقت للهروب".

فرمود إلى بلد مجاور، حيث تمكّن من الحصول على وظيفة في مستشفى بفضل شهادته في الطب:

كان أبواي على دراية بالأزمة، ولكن أختي أقنعتهم أن الاسطوانة كانت مزورة لأنها كانت تشعر بأنني مريض ولا يد لي في ما أنا فيه... لكن أبي عاجز تماماً عن منع عمami. فهي مسألة عار. وفي العراق إذا مر أي أمر بين شفتين فسيصبح بين ألفين. الفضيحة تنتشر دائمًا: يعلم عمami أنني إذا ما دخلت العراق سيفتقرون إلى الرجلة الكافية لرئاسة العشيرة.

لمدة ستة أشهر، عملت نائباً في مستشفى، وظننت أنني بآمن: اعتقدت أن عمami لن يهتموا بأمرني طالما أنا غائب عن نظرهم، إذ فجأة في يوم من أيام مارس/آذار 2007، اثناء استراحتي، رأيت ستة من أعمامي الثمانية في منطقة الاستقبال بالأسفل، كانت عاملة الاستقبال تشير لهم في اتجاه المكان الذي كنت فيه، من الواضح أنهم قد جاءوا من أجلني.

قفزت قفزًا وعدوت على الفور. ذهبت إلى شقتي بالقرب من المستشفى، أمسكت بحقيبة فحسب وبعضًا من الأموال وتركت كل ما عدا ذلك، في صباح اليوم التالي ركبت الحافلة وفررت من البلد، أخبرتني أختي أنها في ذلة لسان قد تكون ذكرت مكاني لشخص من أقارب أمي، ثم وصل إلى عمami. لكنني لم أكن أصدق في يوم من الأيام أنهم سيقطعون كل هذه المسافة وأنهم سيطاردونني ويجدونني ليقتلوني.<sup>101</sup>

---

<sup>101</sup> مقابلة لـهيومن رايتس ووتش مع مؤيد (اسم مستعار) أبريل/نيسان 2009.

## VI. هجمات سابقة

تصل أنباء متفرقة إلى الصحافة الغربية منذ 2005 من العراق، تحمل أخباراً عن قتل يستهدف رجال يُرون على أنهم "مخنثين" أو من يرتاب في ممارستهم للسلوك المثلثي. قال جميع من تحدثنا معهم، أن الحملة الأخيرة لقتل العمد هي أوسع نطاقاً وأكثر تنظيماً بشكل كبير جداً عن تلك الهجمات الماضية، ولكن شهادات الناس نجد منها أن المخالوف الخاصة بفساد الأخلاق وتقويض الرجلة قائمة منذ زمن، وعبر مختلف الخطوط الطائفية.

لقد وضعت عدة تقارير غربية صدرت بداية من عام 2005 المسئولية الرئيسية أو الوحيدة عن أحداث قتل المثليين بالعراق، على آية الله علي السيستاني، والذي يفترض فيه أنه يعمل من خلال منظمة بدر، وهي مليشيا يكتفها الغموض وهي تابعة المجلس الأعلى الإسلامي العراقي (المعروف سابقاً باسم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بالعراق) وكانت منظمة بدر مقرها بإيران في أغفل فترة حكم صدام.<sup>102</sup> وتمارس منظمة بدر منذ عام 2004 عمليات القتل التي تقوم بها كتائب الإعدام، وغير ذلك من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان<sup>103</sup>، ولكن هيومون رايتس ووتش لم تجد ما يدل على ما يجده البعض من أنهم قد استهدفو الرجال الذين يرتابون في أنهم يسلكون سلوكاً مثلياً، ولا ما يثبت أن قتلة الرجال المثليين يأخذون الدفعية المباشرة من آية الله السيستاني. ورغم استحالة إثبات بطلان هذه المزاعم بشكل مؤكد، لم يشر إلا شخص واحد من العراقيين الذين أجرينا معهم مقابلات إلى احتمالية لعب منظمة بدر دوراً رئيسياً في عمليات القتل، وأنها كانت تعمل بناءً على أوامر من آية الله السيستاني، وحتى ذلك الشخص لم يعلم بأمر أي رجال مثليين تعرضوا للقتل على أيدي أعضاء منظمة بدر.

والمعروف أن آية الله السيستاني فقيه مستقل ويحظى باعترافٍ واسع النطاق بأنه من أعلى الفقهاء مرتبة في عالم الشيعة. ورغم أنه قد ساند محاولات توحيد الشيعة العراقيين ليكونوا حركة سياسية متجانسة، إلا إنه تجنب الارتباط المباشر بأية هيئة شيعية بعينها، بما في ذلك المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بالعراق. لديه موقع الخاص بالإنترنت وعنوانه [www.sistani.org](http://www.sistani.org) ، وهذا الموقع شأنه شأن موقع العديد من الأئمة الشيعة، فهو يستقبل التساؤلات ويقدم إجابات تعتمد على النظرية الدينية للحياة اليومية، ويتناول آية قضايا يسأل فيها متابعي الموقع على شتنى المواضيع صغيرة كانت أو جسمية (من الأمور شبه المؤكدة أن معظم الإجابات يكتبها ويضعها على الموقع صغار الفقهاء) منذ عام 2005، قدم الموقع إجابة على سؤال "ما هو حكم اللواط والسحاق؟" جاء "الجواب: حرام. وبعاقب فاعلهما بل

<sup>102</sup> انظر مثلاً Doug Ireland, "Iraqi Gay Murders Surge; World Finally Takes Note," *Gay City News* (New York), April 16, 2009, [http://www.gaycitynews.com/site/news.cfm?newsid=20299642&BRD=2729&dept\\_id=568864&rfi=6](http://www.gaycitynews.com/site/news.cfm?newsid=20299642&BRD=2729&dept_id=568864&rfi=6) وقد اطلعنا عليه في 2 مايو/أيار 2009: "كتائب الإعدام التي تحارب المثليين والتابعة لفرقة بدر... [كانوا] مسئولين عن أغلبية كبيرة من جرائم قتل المثليين" بالعراق.

<sup>103</sup> قام المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بالعراق بتأسيس فريق بدر بالمنفي في إيران في ثمانينيات القرن العشرين. أما بعد احتلال 2003، أعادت هذه المجموعة تسمية نفسها فأطلقـت على نفسها: عنوان منظمة بدر لإعادة البناء التنموية. وحـنت بـوعودـها بـنـزع السلاح، وأـصـبحـت لها رـوابـط وـثـيقـة بـوزـارـة الدـاخـلـيـة الـعـرـاقـيـة؛ وـمنـغـيرـ المؤـكـدـ، وـلـكـهـ أـمـرـ يـرـتابـ فـيـهـ الكـثـرـونـ أـنـ اختـرـاقـ المنـظـمةـ لـلـوزـارـةـ ظـلـ قـائـماـ حتىـ بـعـدـ المحـاـولاتـ الـتـيـ تـمـتـ اـثـنـاءـ الطـفـرةـ الـأـمـريـكـيـةـ وـالـتـيـ هـدـفتـ إـلـىـ تـهـيـرـ المـاـكـاتـ الـحـكـومـيـةـ مـنـ أـعـضـاءـ الـمـيلـيشـياتـ. انـظـرـ Edward Wong, "Leaders of Iraq Support Militias and Widen Rift," *New York Times*, June 9, 2005 Council on Foreign Relations, Iraq: [http://www.cfr.org/pub8175/lionel\\_beehner/iraqmilitia\\_groups.php](http://www.cfr.org/pub8175/lionel_beehner/iraqmilitia_groups.php). اطلعنا عليه في 10 أبريل/نيسان 2009.

يقتل فاعل اللواط أشد قتلة".<sup>104</sup> كان ذلك النداء بالعنف خارج نطاق القانون كما لم يكن يصح، حيث إنه يتناقض ومبادئ سيادة القانون التي أكد عليها آية الله السistani نفسيه. وتعد هذه المقوله فتوى، شأنها شأن أية إجابة من فقيه متخصص على سؤال في الشريعة الإسلامية، ولكن ظلت هذه الفتوى محصورة في ركن بعيد من موقعه على الإنترنت - على عكس فتاوى أخرى للسيستاني تخص قضاياهم المجتمع بوضوح في العراق، مثل شكل الحكومة ما بعد الاحتلال مثلاً - لم تلفت منظمته الأنظار العامة لها عن طريق آية دعاية، وطلب منه الناشطون ذوي المقرات الأوروبيية سحب هذه الفقرة واختفت بالفعل من موقعه في أوائل عام 2006.

كما تجاهلت الصحف العراقية هذه الفتوى بشكل تام أو شبه تام، فقد أخبرنا أحد الرجال : "لم أسمع عن فتوى السيستاني إلا عن طريق موقع الإنترنت الأمريكية".<sup>105</sup> ليس بالإمكان قياس تأثيرها داخلياً ولكن الأمر كما ذكرنا صحفي غربي ذو خبرة بالعراق: "لا تحتاج الميليشيات إلى آية فتوى لكي تقتل من يرroc لها".<sup>106</sup>

وبدلاً مما سبق، أصر معظم الناس الذين قابلتهم هيومن رايتس ووتش على أن الجيش المهدى بات دائئراً الطرف الرئيسي الذي يرتكب أحداث العنف، وتلقت في فترات غير منتظمة ابتداءً من عام 2004 إلى ما رأت أنه إنحلال أخلاقي جنسي في العراق. واصطحب ذلك الاهتمام بعض العنف المنقطع الذي مارسته الميليشيات السنّية وبخاصة القاعدة في بلاد ما بين النهرين، في بغداد ومناطق أخرى.<sup>107</sup> قال منير متذكراً: "بدأت وقائع قتل "الجاي" في بغداد عام 2004 ودام ذلك قرابة عام. ثم انشغلت الميليشيات بمسائل أخرى مثل الشيعة والسنّة":

في مايو/أيار 2004 سمعنا عن أول مجموعة من "الجاي" تعرضت للقتل. كنت أعرف ثلاثة منهم شخصياً، لكن المجموعة كانت تحوي عدداً أكبر لم أكن أعرفهم. لم نعر الأمر الكثير من الاهتمام، ففي تلك الفترة كان الناس يتعرضون للقتل طوال الوقت، ولم نظن أن المسألة تتعلق بـ "الجاي". لكن الأمر اتضح لي بشكل أوضح عندما قتلوا خمسة من أصدقائي، كلهم في نفس الشهر، باستخدام القنابل اليدوية، كما طاردوني أنا شخصياً.

كان ذلك في صالة ألعاب رياضية "جيم" في بغداد كنت مع صديق لي يدعى مازن، وجاء لنا الصدريون.

كنت في دوره المياه وطلبت من مازن أن يأتيني بزجاجة ماء. خرج لإحضارها، وفي تلك اللحظة قتلوه رمياً بالرصاص، كان القتلة ثلاثة. كانوا صدريين يقودون سيارات أوبل حمراء ويرتدون الدشداشة والخف وعلى أذرعهم شرائط خضراء. أتاني الناس من الصالة الرياضية وقالوا لي: "اخبئ لأنهم يبحثون عنك". اختبأت في دوره المياه ثماني ساعات أثناء تواجد قوات الشرطة، ثم أتاني صاحب الصالة الرياضية وقال لي: "أخرج من هنا".

<sup>104</sup> احتفى هذا النص من موقع آية الله السistani، ولكن هيومن رايتس ووتش لديها نسخة منها في ملفاتها.

<sup>105</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع عمر (اسم مستعار) - العراق - 25 أبريل/نيسان 2009.

<sup>106</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع نير روزين - بيروت، لبنان - 29 أبريل/نيسان 2009.

<sup>107</sup> تتكون القاعدة ما بين النهرين من مجموعة فصوفاً من المتمردين (وأسسها المتمرد أبو مصعب الزرقاوي تحت اسم جماعة التوحيد والكافح) والتي حاربت فوصلت مكانة بارزة بهجماتها على قوى الاحتلال في عام 2004.

كانت تلك هي المرة الأولى التي أتعرض فيها للهجوم أو التهديد. أخبرني أصدقائي بأن أحترس فلا بد أنهم يطاردون الرجال الناعمين المهدمين كما قتلوا صديق آخر لي في حي يحكمه الصدريون. ولكن اثنين آخرين قتلوا في حي تحكمه القاعدة. في ذلك الحين لم تكن هنالك أية مشكلة بين ميليشيا الصدر والقاعدة. ولم تدم عمليات قتل "الجاي" حتى بدأت التوترات بين الميليشيات السنوية والشيعية، فعندما بدأوا في قتال بعضهم البعض.<sup>108</sup>

مصطفى موطن البصرة ولكنه كان يذهب إلى بغداد من حين لآخر لكي يزور الأماكن التي يجتمع فيها الرجال المثليين، ولكن هذا النشاط ازداد خطورة بعد الإطاحة بصدام حسين. أخبرنا عن إحدى زياراته في عام 2003 أو في 2004 "جربت أن أذهب إلى سينما سندباد، وفي أول يوم لم يقع أي مكروه ولكن في اليوم الثاني التقى بصديق قديم في صالة السينما".

ثم إذ فجأةً أوقف الفيلم بعض الرجال ذوي وجوه ملائمة ثم بدأ شخص من بين الجمهور في الإشارة إلى مختلف الأشخاص - كنا نسبعة بما في ذلك أنا وصديقي. واقتادونا مرتدو السواد إلى خارج السينما. وقالوا: "أنتم لوطين وستأخذون وتشنرون".

الجيش المهدى يمكن أن تعرف عليه من ملابسه السوداء: كان هؤلاء صدريين بالتأكيد. كما وافقن في انتظار الموت ثم صرخ أحدهم أن القوات الأمريكية قادمة. خاف رجال الميليشيا واستغlichenا الموقف في محاولة الهروب. وصرخوا في ظهرنا "توقفوا وإلا أطلقنا عليكم الرصاص". رمى أحد رجال الميليشيا قبلة يدوية، أصابتني بعض الشظايا منها في ظهري: اعتقى الأمريكيون أن الصدريين فتحوا عليهم النار فبدأوا في ضرب النار هم الآخرين، وأثناء تبادل إطلاق النار هربت ونجوت.<sup>109</sup>

انتشر استخدام الإنترنت بعد الإطاحة بصدام، فأصبح وسيلة اجتماعية هامة بالنسبة للناس الذين أرادوا إخفاء هويتهم لأي سبب كان.<sup>110</sup> وسرعان ما توصل الجيش المهدى إلى أساليب اختراق الواقع على الإنترنت بحثاً عن السلوكيات

<sup>108</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع منير (اسم مستعار) - العراق - 20 أبريل/نيسان 2009. تعاون الجيش المهدى وغيره من الميليشيات السنوية، على الأقل بشكل محدود مع القاعدة في منطقة ما بين النهرين في أوائل حملة المقاومة ضد الاحتلال في عام 2004. ولكن هذه الاتصالات انهارت بحلول عام 2005 وانتشار الحرب الأهلية الطائفية عبر العراق.

<sup>109</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع مصطفى (اسم مستعار) - بيروت، لبنان، 10 يوليو / تموز 2009. سينما سندباد بشارع سعدون، وتندمرت بعد ذلك، اشتهرت بعرضها للأفلام الغربية التي اعتبرها الإسلاميون السلفيون "محلاة". نشر الإعلام الغربي خبر الهجوم على هذه السينما بالقناصل اليدوية في مايو 2003: انظر Philip Sherwell, "Baghdad's Cinemas and Shops Attacked by Islamic 'Enforcers,'" *Telegraph*, June 1, 2003, <http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/iraq/1431686/Baghdads-cinemas-and-shops-attacked-by-Islamic-enforcers.html> أطلعنا عليه في 10 يونيو/حزيران 2009.

<sup>110</sup> كانت العراق ما بعد الحرب شأنها من شأن دول كثيرة حول العالم في أن موقع الإعلانات الشخصية وغرف الدردشة على الإنترنت كانت تجمع بين فرصة تكوين العلاقات الاجتماعية بتوفير الأمان (فيما يبدو) بالنسبة للرجال المثليين. فأخبرنا أحدهم:

الإنترنت مهم جداً بالنسبة للجاي" في العراق لأنها توفر الأمان، فيما يبدو فقبل ذلك، إن عليك اللقاء بشكل مستتر جداً في الأماكن العامة: كنت ترى رجالاً وتذهب فتتحدث معه ولم تكن تعرف إذا ما كان "جاي" أم يهوى النساء ويدعى فقط أنه "جاي"، إذا كان سيضر بك أو يسرفك. أما من خلال

التي يرفضونها، فقال سمير إنه في عام 2004: "قررت مقابلة شخص كنت قد تعرفت عليه عبر الدردشة [في الإنترن特]. ذهبت إلى شقته وهناك وجدت أربعة رجال ملتحين ويرتدون السواد — علامات الجيش المهدى. فصربيوني ضرباً مبرحاً وجرحوا وجهي ويدى بالمدى". وأرانا ندباته: "قالوا لي: في المرة القادمة ستفتك، وهذه النوبة على وجهك من باب التحذير".<sup>111</sup>

ولكن، كما أشار منير، كانت الميليشيات الأخرى تمارس نشاط القتل العمد من فترة إلى أخرى. أخبرنا وحيد وهو يقطن حي سني في بغداد، أن فرع القاعدة بلاد ما بين النهرين قتلوا صديقه عام 2004، حيث جرت في هذه الفترة عملية "تطهير عامة للأشخاص الذين رأوا أنهم غير أخلاقيين، فمثلاً كان يمكنهم استهداف الحلاقين الذين ينتزعون الشعر بالخطيط لأن ذلك حرام، كما كانوا يقتلون باعة اللحى لأن زمن النبي عليه السلام لم يكن به ثلح"، وصفوا صديقه في حي الدورة:

كان واقفاً على زاوية الطريق مع مجموعة من أصدقائه، ورأوا مجموعة من الملتحين تأتيهم بالسيارة ثم وقفت بجانبهم وطلبوه بالاسم. حاول أن يهرب، ولكنهم أحاطوا به وحاصروه. حاولوا استخراج المعلومات منه، طالبين منه إعطاءهم أسماء أصدقائه "الجاي". تجمع الناس ورأوا هرجاً ومرج — فقتلوا رمياً بالرصاص فحسب ورحلوا بسياراتهم.<sup>112</sup>

أما عمر فمن سمارة، وأخبرنا أنه في عام 2006 "فقتل الميليشيات السنوية شريك حياتي"، وقال إن تاريخ ذلك الهجوم كان بعد قصف جامع العسكري في 22 فبراير/شباط الرهيب بعده أشهر، والمعروف أن ذلك الجامع من أهم الأماكن وأقدسها بالنسبة للشيعة، ويرجع معظم الناس هذا الهجوم إلى القاعدة ما بين النهرين. "كنت أحيا حياة منعزلة جداً أنا وهو":

ولكن في يوم من الأيام جاءعني تهديد في صورة ورقية دسوها في بابي ومكتوب فيها "ابعد عن هذا الرجل وإلا قتلتاك". ثم اخترفوني: كانوا أربعة ويرتدون الأقنعة بحيث لا أتمكن من رؤية وجوههم. ضربوني ووجهوا إلي الضربات بقبض المسدس مراراً وتكراراً، محاولين الحصول على المعلومات مني، كانوا يريدون مني الاعتراف بأنني على علاقة جنسية مع شريك حياتي؛ لكنني قلت لهم إننا مجرد أصدقاء وليس بيننا أي شيء. احتجزوني يوماً وعندما أدركتوا أنهم لن يحصلوا على أي معلومات مني، أطلقوا سراحني.

---

الإنترن特، فيتاح لك إلى حد ما تفحص الناس قبل تكوين العلاقات معهم أو إعطائهم المعلومات الشخصية.

مقابلة لهيوبن رايتس ووتش مع حنين (اسم مستعار) - العراق، 25 أبريل/نيسان 2009.

<sup>111</sup> مقابلة لهيوبن رايتس ووتش مع سمير (اسم مستعار) - العراق، 24 أبريل/نيسان 2009. أما بلال فأخبرنا أنه "منذ سنتين تعرض أحد أصدقائي للاختطاف من خلال برنامج ياهوو [ماسنجر] كان يدرسه مع شخص، قال: "أرغب أن القاء". عندما ذهب إلى مكان اللقاء، كان في رجال واختطافه. سرقوا تليفونه المحمول وعليه كل أرقامه، ووضعوا على عينيه غمامه وضربوه وركلوه واقتلونه بأظافره. كانوا من الجيش المهدى وأخربوه بذلك، وقالوا: "نحن نظهر المجتمع من أمثالك". كانوا يريدون فدية من أسرته؛ في كل مرة يطلبون 20 أو 30 ألف دولاراً أمريكيّاً، إلا أنهم أخرجوه أنفسهم سيفللونه في اليوم التالي على أية حال. ولما كانوا يحتجزونه في الدور الأول، ألقى بنفسه من النافذة وتمكن من الهروب". مقابلة لهيوبن رايتس ووتش مع بلال (اسم مستعار) - العراق، 20 أبريل/نيسان 2009.

<sup>112</sup> مقابلة لهيوبن رايتس ووتش مع وحيد (اسم مستعار) - العراق، 23 أبريل نيسان 2009.

بعد إطلاقهم سراحه بستة أيام، اختطفوا شريك حياته. كان مصففاً للشعر، وكانت علاقتنا قد دامت أربع سنوات. سمعت من أسرته أنه قتل، وجدوا جثته بالشارع. وفي اليوم التالي فررت إلى بغداد.<sup>113</sup>

كان الاختطاف أداة تستخدم بشكل متكرر بهدف الردع والإخافة، بالإضافة إلى جمع المعلومات، روى لنا يحيى عمليه اختطافه على يد رجال الجيش المهدى عام 2005:

عرفت أنهم من رجال الجيش المهدى، فكانوا مسيطرؤن على منطقة زعفروني [بغداد] حيث كنت أسكن كانوا يرتدون ملابس سوداء وملثمين وأخذوني إلى جامع يدعى حسينية صدرين وكان الجيش المهدى شبه محتل له. من المؤكد أنهم سمعوا بأمرى في الحي. سألوني: "لماذا ترتدى هذه الملابس؟ لماذا حاجبتك مثذبين؟ لماذا شعرك طويل هكذا، لماذا تثبت أذنك؟" قالوا لي: "نحن مسلمون ويجب قتل أمثالك".

وفي الجامع، اتهمني أحد الشيوخ بأنني أمارس الجنس مع الرجال، فأنكرت. سمحوا لي بالاستمرار لليوم الثالث ولكن رجال الميليشيا ذهبا إلى أبيي وأخبروهما، "ابنكم لوطى وبشرب الخمور". وأخبروهما بأنني لست مسلماً ملتزماً ويجب معاقبتي. أصيّب أبيي بصدمة رهيبة. اضطررت إلى مغادرة المنزل وحزنني أبي وإخواني أنهم سوف يقتلونني إذا رأوني.<sup>114</sup>

أخبرنا نوري، والذي اختطفته قوات وزارة الداخلية عام 2009، كما ذكرنا بالتفصيل فيما سلف، عن حادث احتجاك فيه الجيش المهدى به قبلها بما يقرب من ثلاثة سنوات:

كنت أسير في كرادة في يوليو/يموز 2006، ثم أوقفني [رجال يستقرون] سيارتان بي إم دبليو وضربيوني، ووضعنوني في حقيبة السيارة. وكانت السيارات تكتظ بكل هائل من الرجال، وكلهم مسلحون. كان ذلك في وقت الغسق. وأخذوني إلى الحسينية [مسجد] بمدينة الصدر. يعلم الجميع أنه عندما يلقى الجيش المهدى القبض على أي شخص، يأخذونه إلى مدينة الصدر ويقتلونه.

أخرجوني أمام الجامع وأبرحوني ضرباً، ثم أدخلوني إلى شيخ الجامع. أخبروه أنني شاذ جنسياً وسألوه هل يقتلوني أم يعاقبوني فقط؟ كنت أعتقد أن الجيش المهدى لا يعد من هم دون سن الثامنة عشر. وكنت قد أتممت الثامنة عشرة للتو، ولكن عندما سألوني أخبرتهم أن عمري سبعة عشر عاماً.

أمرهم الشيخ بحرقى بجمرات الأرجيلة، فحلقوا شعري وحرقونى بالجمرات، ثم جلوسي تسعين جلة.

ثم أرانا الندبات التي ظلت بذراعيه من آثار حرق الجمرات.<sup>115</sup>

<sup>113</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع عمر (اسم مستعار) - العراق، 25 أبريل/نيسان 2009.

<sup>114</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع يحيى (اسم مستعار) - بيروت، لبنان، 10 يوليو/تموز 2009.

<sup>115</sup> مقابلة لهيون رايتس ووتش مع نوري (اسم مستعار) - بيروت، 27 أبريل/نيسان 2009.

## ٧٧. وضع اللاجئين

التحيزات الاجتماعي المتّصلة، والقمع الأسري، وغياب أية ضمانات حماية قانونية ذات تأثير يُذكر، واندلاع العنف القاتل بشكل مفاجئ؛ كل هذه عوامل تجعل الرجال المرتّاب في مثيلتهم بالعراق في خطٍ دائم لا ينقطع.

منذ بداية الاحتلال، لم يفلح إلا القليل من العراقيين في التلافي التام للدواوير المتّسعة من العنف ، سواءً كان العنف الطافي أو الانتقامي أو العشوائي، مثلما لم ينج سوى قلة من المواطنين بشكلٍ تام من ضراوة الدولة تحت حكم صدام حسين. ولا يتعرّض الرجال الذين يرافقون الناس على أنفسهم مختفين، ولا الذين يرتاب البعض في ممارساتهم للسلوك المتميّز، بالضرورة إلى الاستهداف بشكلٍ أشد من الفاتات أو الهويات الأخرى التي تعرضت للاستهداف في السنوات القليلة الماضية. ولكنّهم يختلفون عن غيرهم في تعرّضهم لبعض الأمور التي تجعل وضعهم أسوأ من غيرهم بشكلٍ خاص.

يتحرّك المثليون في دواوير معزولة لا ينظمها سوى شبكات قليلة من الأصدقاء أو أسماء مستعارّة على شبكة الإنترنت، ولا تعد مجتمعًا محليًا متّرابطًا ولا تقترب حتى من ذلك، فلا تقدّم أية مساندة متبادلة. كما ترفض الأسر في معظم الحالات إمدادهم بأي مساندة أو حماية حتى في حالة استطاعته تقديم مثل تلك المساعدة. ولذلك يجد كثير من الرجال المثليين أنفسهم بلا ملاذ ولا سند، ولا يجدون أمامهم إلا مغادرة البلاد.

بالنّالي، وبالنسبة لمعظمهم، يغادر الأشخاص بلدّهم ويدّهبون إلى بلدة أخرى قريبة بالمنطقة، أما هناك فأفضل حلّ أمامهم هو تسجيل أسمائهم مع مكتب المفوضية السامية لشؤون اللاجئين للأمم المتحدة. وبعدها عليهم أن يتحملوا الإجراءات الطويلة لتحديد موقفهم من اللجوء، حيث يقيم المفوض السامي حالتهم ويقرر إذا ما كان طلبهم مقبول. وبعد ذلك ينتظرون في ترقب أمر غير مضمون، وهو إعادة توطينهم في مكان آخر، حيث على المفوض السامي تقديم ملف اللاجي إلى الحكومات التي قد تتعاطف مع وضعه ويطلب منهم قبوله. وأثناء هذه العمليات - والتي قد تستغرق سنين - على ملتمسي اللجوء المكوّث مكانهم. أما بالنسبة لل العراقيين الذين تعرّضوا بالفعل للاضطهاد بناءً على ميولهم الجنسيّة أو هويتهم من حيث النوع الاجتماعي، فلا تقدّم أية دولة من البلدان المحيطة بالعراق الأمان التام.

نُج عن سنوات العنف في العراق منذ 2003 أزمة نازحين هائلة. في تقدير المفوضية السامية، فـحوالي 2 مليون عراقي من بلدّهم، ولذاً معظمهم بالدول المحيطة بالعراق.<sup>116</sup> ولم يسجل مع مكتب المفوضية السامية سوى 291000 من هؤلاء أي 14% من العدد الإجمالي المُقدّر. ومن ضمن هؤلاء لم يوصى بإعادة توطين سوى حوالي 72400، ولم يتم إعادة التوطين بالفعل إلا بـ 28200 من هؤلاء.<sup>117</sup> والأغلبية العظمى لـ 2 مليون التقديري موجودون في

<sup>116</sup> مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين "Iraq: Country Operations Profile, 2009"

<http://www.unhcr.org/cgi-bin/texis/vtx/page?page=49e486426>

وأطلّنا عليه في 2 مايو / أيار 2009.

<sup>117</sup> مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين "Iraq Situation Update," May 2009

سوريا (والتي يقر المفروض السامي أنها استقبلت حوالي 1,200,000 حتى الآن، رغم أنه غير مسجل منهم سوى 206,000، في سوريا والأردن (والعدد التقديري فيها 450,000 منهم 52,000 مسجلين).<sup>118</sup>

لا توجد أية أحصائيات عن النسبة التي يشكلها اللاهاربون من الاضطهاد على أساس الهوية الجنسية أو النوع الاجتماعي كجزء من هذا العدد الكلي، ومن غير المحتمل ورود أية إحصائيات أو أرقام عن ذلك، فالمفوضية السامية لا تصنف البيانات على أساس أسباب طلب اللجوء. ومن الأمور شبه المؤكدة أن الأعداد المعنية قليلة نسبياً بالنسبة للطوفان العارم من الأشخاص المهاجرين . وعلى ذلك، نجد أن العراقيين من فئات المثليين والمثليات ومزدوجو ومزدوجات الميول الجنسية ومتحولو ومتتحولات الجنس أو النوع الاجتماعي (الأقليات الجنسية) يواجهون مخاطر خاصة بهم عندما يدخلون في نظام اللجوء السياسي.

يجرم القانون السلوك المثلي الذي يتم بالترادي في جميع الدول المحيطة بالعراق باستثناء تركيا والأردن، وفي بعض الظروف، تفرض إيران وال سعودية على ممارسي هذا السلوك عقوبة الإعدام. وقد يواجه اللاجئون اللاهاربون من الاضطهاد في العراق بسبب ميولهم الجنسية ونوعهم الاجتماعي اضطهادات جديدة في كل الدول تقريباً التي يمكنهم التوجه إليها كملجاً مؤقت. ومن الأمور التي تقصّس مواردهم، وتحرمهم من أية حماية في الشتات، غياب أي مجتمع من الأقليات الجنسية منفتح وكبير نسبياً ولديه القدرة على تقديم ولو أضعاف أنواع المساعدة المتبادلة، بالإضافة إلى غياب أية مساندة أسرية بالنسبة لمعظم الأشخاص من فئات الأقليات الجنسية الذين يضطرون إلى الفرار.

لا تفرض تركيا أية عقوبات قانونية على السلوك المثلي، ولكن العنف ضد الأقليات الجنسية منتشر فيها.<sup>119</sup> ورغم أن تركيا - على عكس سوريا والأردن - قد وقعت على كل من اتفاقية حماية اللاجئين لعام 1951 والبروتوكول الخاص بتلك الوثيقة لعام 1967، إلا أنها حددت انضمامها للاتفاقية على اللاجئين من الأصول الأوروبية، مما حال دون منح الحكومة لحق اللجوء لتركيا لأي لاجئين عراقيين. وتجرّب السلطات التركية طالبي اللجوء واللاجئين بشكل روتيني على البقاء في المدن الثانوية لكي تتأيّد بهم عن المدن الكبرى، وبذلك يتواجدون في مناطق تقل فيها خدمات المساندة (ومنظمات المجتمع المدني) وتتباعد - كما أن الوضع الاجتماعي في تلك المناطق أكثر تحفظاً مما يعرض الأقليات الجنسية إلى خطر التفرقة والإساءة.<sup>120</sup> (وبسبب هذه القيد بشكل جزئي، لا يوجد في تركيا الآن سوى 8300 لاجئ عراقي).<sup>121</sup>

وفي الوقت نفسه، رغم أن الأردن لا يفرض أية عقوبات جنائية على السلوك المثلي، فهو ذات وضع اجتماعي وسياسي يتسم بالقمع أكثر من الحال في تركيا. وصف لـ هيومن رايتس ووتش أحد الرجال ابتزاز قوات الأمن له ثم طرده بشكل غير قانوني في عام 2008 بسبب ميوله الجنسية:

كان وضعني في الأردن قانوني تماماً. كان لدي تأشيرة عمل ووظيفة قانونية، وكانت للتو سجلت اسمي مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين بالأمم المتحدة، حيث أعطوني بطاقة عليها رقم. ثم

.<sup>118</sup> المصدر السابق.

*We Need a Law for Liberation": Gender, Sexuality, and Human Rights in a Changing Turkey*, a Human Rights Watch report, ”<sup>119</sup> 2008, <http://www.hrw.org/en/reports/2008/05/21/we-need-law-liberation>-o

<sup>120</sup> أجرت هيومن رايتس ووتش أبحاث مستفيضة مع اللاجئين الإيرانيين من الأقليات الجنسية بتركيا في عامي 2007 و 2008. <sup>121</sup> مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين، ”*Iraq Situation Update,” May 2009*

اتصلت بي المخابرات الأردنية في الهاتف. وقالوا لي: نريد مقابلتك. وفكرت آنذاك أنهم من المحتمل أنهم عرفا بحضورني بعض حفلات "الجاي"، أو قد يكونوا رأوني في جامع من الجامع وخيل إليهم إنني متطرف أو شيء من هذا القبيل.

سألوني: "هل أنت لوطني؟"، أنكرت. قالولي: "بل أنت كذلك". أعطيت رجال المخابرات بطاقة [المفوضية السامية] وأثبت لهم الوضع القانوني لتأشيرتي فقالوا: "هذا لا يهمنا في شيء... أنت منيak" و"مخنث" ولا نريدك في بلدنا".

لروا ذراعي وراء ظهري بعنف وصادروا جواز سفرني وأرادوا مني أن أعمل مخبراً لصالحهم فأدليهم على العراقيين في الأردن – جميع العراقيين وليس فقط "الجاي" منهم وقالوا: "عد إلينا غداً".

في اليوم التالي عدت ورفضت [التعاون معهم]. فربطوا يدي وراء ظهري بالقيود المعدنية ووضعوني في زنزانة فانتين: "لماذا يا منيak" تلحق هذا العار بنفسك؟" ردت أبداً أبداً.

ثم أقتادوني إلى سجن آخر، وقضيت فيه سبعة أو ثمانية أيام، وبعدها أعادوني إلى العراق مرة أخرى.<sup>122</sup>

اتسمت سوريا بالكرم في استقبالها لل العراقيين النازحين، إلا إن أجهزة الأمن والمخابرات هناك تشكل تهديداً شديداً على اللاجئين من الأقليات الجنسية في ضوء العقوبات القانونية الصارمة التي يفرضها القانون السوري على السلوك المثلثي. أخبرنا أحد الرجال عن كيفية قيام قوات الأمن السورية بترحيله، رغم أنه مسجل مع مكتب المفوضية السامية بدمشق، حيث كانت تصله إعانت كل فترة في صورة تحويلات نقديّة من مؤسسة "عرافي إل جي بي تي" ومقرها لندن.

أعتقد أن شخصاً أخبر المخابرات ب شأننا. أمروني أن آتي واستجوبوني وسألوني عن "عرافي إل جي بي تي" وعلاقتنا بتلك المنظمة وعن سبب إرسالهم الأموال إلينا.

سألوني إذا كنت "جاي"، وسألوا عن علاقتي بمنير، لأننا كنا نسكن في نفس الشقة، وكنا نمضي الكثير من الوقت معاً. أنكرت كل شيء. كثرت الشتائم والإساءات اللفظية – عاملوني بمنتهى الوقاحة. وسألوني عن الناس الذين زارونا باليت – كان في منتهى الوضوح أننا تحت مراقبة مشددة. ثم بعد يومين قاموا بترحيلنا.<sup>123</sup>

قاد الترحيل أن يسلب منير حياته. قال:

---

<sup>122</sup> مقابلة لهيومن رايتس ووتش مع حسين (اسم مستعار) - العراق، 23 نيسان/ابريل 2009.

<sup>123</sup> لقاء لهيومن رايتس ووتش مع عمر (اسم مستعار)، العراق، 25 ابريل/نيسان 2009.

عندما قامت السلطات السورية بترحيلي من هناك، كانوا قد قيدوا في ملفي أنتي "جاي". ففي الجانب العراقي من الحدود، قرأوا ذلك ثم صادروا جواز سفري قائلين "سوف نسلمك لوزارة الداخلية" – و معنى ذلك الموت فوراً. قال لي حرس الحدود، "طردوك من سوريا بسبب الدعارة ونحن سنقتلك".

فعلوا ذلك لأنهم كانوا يريدون مني الأموال - إعادة جواز سفري إلى بمبلغ 2500 دولار أمريكي. ولأن ملفي كان مكتوب فيه أنتي "جاي" كنت فريسة سهلة لهم. وقتها ظلت على حدود العراق لمدة وليس معه فلساً واحداً، كان مستحيل أن أتقدم، كانت أمامي نقطة تفتيش وبدون جواز سفري كانوا سيقتلوني.

عقدت صفقة مع أحد حرس الحدود العراقيين: يأخذ أحدهم جواز سفري معه ويصطحبني إلى هنا، وهناك يجمع المبلغ وأعطيه إياه. اتصلت بكل صديق لي في بغداد وجمعوا المال بطريقة أو بأخرى. سافر الرجل معه طيلة المسافة إلى بغداد، ودفع له المال فاستردت جواز سفري وحقي في الحياة.<sup>124</sup>

واعترفت المفوضية السامية للإجئين بخطورة الوضع من حيث الاضطهاد بسبب الميول الجنسية في العراق. ففي منشورها لعام 2009 المبادئ الإرشادية الخاصة باستحقاق التمتع بالحماية الدولية لطالبي اللجوء العراقيين، تلاحظ أن "رغم أن القانون العراقي لا يجرم المثلية الجنسية، ولكنها تظل من التابوهات الصارمة ويعتبرها الناس مخالفة

<sup>124</sup> لقاء لهيومن رايتس ووتش مع منير (اسم مستعار)، العراق، 20 أبريل/نيسان 2009. وأخبرنا اثنان من العراقيين المثليين غير منير كانوا قد عاشوا في سوريا دون التقدم لمكتب المفوض السامي لإعطائهم وضعهم كلاجئين، رواية القضاة عليهم في شوارع دمشق في ديسمبر 2006 على يد الشرطة السورية، وتعد روايتهم خير دليل على المخاطر التي قد يواجهها الأجانب "الناعمين". أوقفهم رجال الشرطة وسألهـم "هل أنت شباب أم بنات؟"

أنزلوا سراويلنا لكي يرون ما هو جنسنا، ثم أبرحونا ضرباً في الطريق العام أمام الكل. ثم اقتادونا إلى قسم شرطة باب موصلـة. بعد يوم تقريباً، أخذونا لمستشفى بشار الأسـد لإجراء اختبارات ثبتـ إذا ما كانـ "جـاي". أمرنا الطـبيبـ بـإنزالـ سـراويلـناـ وـكشفـ عـورـتناـ ثـمـ كـانـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـرـكـعـ أـمـامـهـ. طـلبـ منـ كـلـ مـنـ أـنـ يـعـدـ مـنـ 1ـ إـلـىـ 10ـ ثـمـ أـدـخـلـ إـبـاهـمـهـ فـيـ قـفـتـ شـرـجـ كـلـ مـنـاـ. ثـمـ قـالـ :ـ "إـنـمـيـلـيونـ".

بعد ذلك كانت العودة لقسم الشرطة، حيث وضعوا كلاً منا في زنزانة انفرادية لا يزيد حجمها على حجم دورـةـ المياهـ الصـغـيرـةـ. تـلاـ ذلكـ ثلاثةـ أيامـ منـ التعـذـيبـ. فـيـ الصـبـاحـ، كـانـواـ يـضـربـونـناـ للـصـدـمـاتـ الكـهـرـبـائـيةـ منـ 10ـ صـبـاحـاـ إـلـىـ 12ـ ظـهـرـاـ. وـلـيـلاـ منـ العـاـشـرـةـ مـسـاءـ حـتـىـ الثـانـيـةـ عـشـرـةـ فـيـ مـنـتـصـفـ اللـيلـ، كـانـواـ يـعـطـونـناـ أـشـاشـاـ مـنـ المـاءـ الـبـارـدـ وـيـشـوـونـ أـجـسـامـنـاـ عـنـ طـرـيقـ رـبـطـ أـيـدـيـنـاـ وـأـرـجـانـاـ ثـمـ جـنـبـ الـجـبـالـ، ثـمـ يـجـلوـنـناـ.

بعد ذلك أخذـونـاـ إـلـىـ الـمـحـكـمةـ دونـ محـامـ وـاتـهمـونـاـ بـالـفـجـورـ. قـالـ المـدـعـيـ أـنـاـ قـدـ مـاـ رـسـنـاـ الـجـنـسـ مـعـ الـمـارـيـنـزـ الـأـمـرـيـكـيـنـ وـرـجـالـ الـمـيلـيشـياتـ الـعـرـاقـيـةـ فـيـ الـعـرـاقـ مـوـطـنـنـاـ. أـمـاـ الـقـاضـيـ فـقـالـ:ـ "ـنـحنـ لـاـ نـحـكـمـ يـاـ أـهـلـ الـعـرـاقـ:ـ لـمـاـ تـأـتـوـنـ إـلـىـ بـلـدـنـاـ؟ـ وـحـكـمـ عـلـيـنـاـ بـالـسـجـنـ سـتـةـ شـهـرـ. تـمـكـنـاـ مـنـ توـكـيلـ مـحـامـ مـنـ دـاخـلـ السـجـنـ وـجـلـعـهـ يـطـلـقـونـ سـراـحـاـ، لـكـنـهـ طـرـدـونـاـ مـنـ الـبـلـادـ. طـرـدـونـاـ فـيـ فـبـرـاـيـرـ/ـشـبـاطـ 2007ـ وـنـحنـ مـمـنـوعـونـ مـنـ الـعـودـةـ لـمـدةـ خـمـسـةـ سـنـواتـ. أـخـذـونـاـ إـلـىـ حدـودـ الـعـرـاقـ وـتـرـكـونـاـ هـنـاكـ.

لقاء لهيومن رايتس ووتش مع يحيى وعياس (أسماء مستعار)، بيروت، لبنان ، 10 يوليو/تموز 2009. قامت هيومن رايتس ووتش بتوثيق إجراء الكشف الشرجي الباطلـةـ في تقريرـهـاـ عـلـىـ دـولـ آخـرـىـ، وـيـعـدـ هـذـاـ الإـجـرـاءـ تـعـدـ عـلـىـ الـبـشـرـ إـسـاءـةـ لـهـاـ وـالـغـرـضـ مـنـهـ "ـإـثـبـاتـ"ـ مـارـسـةـ السـلـوكـ المـثـلـيـ:ـ أـنـظـرـ فـيـ زـمـنـ التـعـذـيبـ:ـ هـدـارـ الـعـدـالـةـ فـيـ حـمـلـةـ مـصـرـ ضـدـ السـلـوكـ المـثـلـيـ، تـقـرـيرـ أـصـدـرـتـهـ هـيـوـمـنـ رـايـتسـ وـوـتـشـ لـعـامـ 2004ـ، وـكـمـاعـرـضـنـاـ فـيـ ذـلـكـ التـقـرـيرـ، فـعـدـنـاـ تـمـارـسـ هـذـهـ الـكـشـفـ فـيـ ظـرـوفـ الـجـيـسـ أـوـ السـجـنـ وـبـدـونـ موـافـقـةـ الـمـكـشـفـ عـلـيـهـمـ، تـعـدـ ضـرـبـاـ مـنـ ضـرـوبـ الـتـعـذـيبـ.

لإسلام. ومنذ عام 2003 والأقليات الجنسية في العراق، وهي مهمسة وعرضة للهجمات تعرضت للاستهداف في أجواء من الإفلات من العقاب.<sup>125</sup>"

ولكننا لا بد أن نوجه اهتمامنا للصعوبات التي يواجهها هؤلاء الأشخاص في بلاد اللجوء الأولى المحيطة ببلدهم والتي تعقد الوضع بل وأحياناً تهدد حياتهم. ولا يمكن حل هذه المشاكل والصعوبات إلا عن طريق الالتزام – سواءً من جانب المفوضية السامية أو من جانب الحكومات الغربية التي وعدت على الورق بحماية اللاجئين – بانتشار طالبي اللجوء العراقيين أعضاء الأقليات الجنسية من الخطر، وإعادة توطينهم بشكل عاجل في دول آمنة.

---

<sup>125</sup> المفوضية السامية لشؤون اللاجئين بالأمم المتحدة، *Eligibility Guidelines for Assessing the International Protection Needs of Iraqi Asylum-Seekers*, April 2009, "Sexual Orientation," pp. 193-195, <http://www.unhcr.org/refworld/docid/49f569cf2.html>, واطلعنا عليه في 2 مايو / أيار 2009

## VIII. خاتمة

قال حامد عن القتلة الذين قتلوا شريك حياته عمدًا: "يقولون إنهم مسلمين، لكن ليس فيهم من الإسلام شيئاً. بل يستغلون الدين ستاراً ليفعلون ما شاءوا".<sup>126</sup>

لو كانت حملة القتل، كما يعتقد البعض، قد بدأت وسيلةً لقوات الميليشيا لاستعادة سمعتها واكتساب بريق الدفاع عن الأخلاق، فقد باعه تلك المحاولة بالفشل. فانتهاك الخصوصية، والقتل العمد التعسفي، والوحشية، والتعذيب، كلها أمور تضر بالدين والأخلاق على حد سواء عرض الحائط. وبات عدد متزايد من العراقيين - حتى العراقيين الذين لا ينعون أقاربهم وأبناءهم المقتولين - في حالة من الجزع. وفي مايو/آيار 2009 كتب أحد الصحفيين بشجاعة في صوت العراق أن الجيش المهدى عاد فـ "طلالت مخالبهم":

أخذوا يمارسون... الإجرام والبلطجة وفي شتي أساليب القمع والاضطهاد والتكميل والاستبداد  
والقتل ... ضد المواطنين الآمنين و... يتدخلون مرة أخرى في أدق وأبسط تفاصيل حياة المواطنين  
اليومية ويعنونهم من ممارسة أشياء باتت عادية حتى في أكثر الأنظمة الدينية ثيوقراطية  
كالسعودية وإيران... حيث يتم التجاوز والاعتداء والضرب المبرح مصحوباً مع تهديد جدي  
بالقتل ضد كل من يطوي شعره ببضعة سنتيمترات قليلة ويصبح أطول بعض الشيء عن "  
المقاييس الصدرية" المحددة بكل صرامة وشدة !!، أو ضد من يرتد بنطلاً " رياضياً "  
قصيرًا أو بنطلاً ضيقاً ... هذا ناهيك عن قتل العديد من المثليين في الآونة الأخيرة بناءً على الشك  
في سلوكهم أو مجرد حجة باطلة لتبرير جريمة القتل ... فشعار : القتل والقتل وثم القتل من أجل  
أبسط وأنفع الأشياء والأمور هو السادس... عند هذه الأحزاب .

واختتم مقاله قائلاً:

بينما نحن نعرف إن الله ذلك الجميل والطيب ، لا يمكن إلا أن يكون رحيمًا ومحباً لجميع مخلوقاته ، حتى وأن غضب على بعضهم وزعل ، كما الأب مع جميع أبنائه، بينما الدين – أي دين كان – إذا لم يكن زائفًا وملفكاً ، فهو بالضرورة يجب أن يكون ديناً متسامحاً وحامياً لقادسية الحياة وليس داعياً إلى قتل البشر بسبب طول الشعر أو قصر البنطال...

...الإنسان كان سابقاً في وجوده على كل العقائد الأيديولوجيات سواء منها "المقدسة" أو  
الوضعية ... وبالتالي فإن حياته – كإنسان – تعد أكثر قداسة من "قدسية" هذه الأيديولوجيات  
والعقائد المختلفة ..

---

<sup>126</sup> إقاء لهيوب من رايتس ووتش مع حامد (اسم مستعار) - العراق - 24 ابريل/نيسان 2009.

إذ ليس من المعقول أو المنطقي أن تكون " قداسة " الشيء الذي أوجده الإنسان أهم من قدسيّة حياة الإنسان ذاته ..<sup>127</sup>

ونفس المعنى تقريرياً عبر عنه شاب في الثامنة عشرة من عمره كانوا قد هددوه بالموت، وله عدة أصدقاء مقتولين، حيث قال لنا:

خلق الله البشر أشكالاً وألواناً، علينا أن نقبل وحسب أن هذا موجود، إذا كنت تكره "الجاي" أنت حر في إدانتهم؛ لكن لا يمكن أن تقتلهم. لا تتحدث معهم. لا تقابلهم. ولكن لا تنبههم. هذا خطأ فحسب، ويجب أن ينتهي.<sup>128</sup>

## القانون الدولي

الحكومة العراقية عليها التزامات قانونية بمقتضى أحكام مواثيق حقوق الإنسان الدولية بالإضافة إلى القانون الدولي العربي، فلتزمها كل من التزامتها بالمواثيق والتزام الحكومات العراقية السابقة.<sup>129</sup>

ومن أبرز التزامات العراق من ناحية المواثيق الدولية الالتزامات الواردة في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والذي صدقت عليه العراق في عام 1971.<sup>130</sup>

وتفرض الحمايات المكفولة في العهد الدولي على السلطات العراقية باتخاذ الإجراءات الازمة، بما في ذلك المسؤولين الذين يقع على عاتقهم تنفيذ القانون وضمان الأمن بالعراق.

## الحق في الحياة والأمان

يرد في المادة التاسعة من العهد الدولي أن: "لكل فرد حق في الحرية وفي الأمان على شخصه". كما ان الميثاق العربي لحقوق الإنسان، والذي اعتمده جامعة الدول العربية (والمعروف ان العراق عضو فيه) في 1997، ينص في مادته الخامسة بنفس المعنى على أن "لكل فرد الحق في الحياة وفي الحرية وفي سلامه شخصه ويحمي القانون هذه الحقوق". ويلزم هذا الحق في الأمن والأمان السلطات العراقية بعدم تجاهل ما يهدد حياة الناس في أراضيهم طالما كانوا على علم بهذه التهديدات، كما يلزمها باتخاذ التدابير المعقولة والمناسبة لحماية هؤلاء الناس.<sup>131</sup> كما يفرض الحق

<sup>127</sup> لا جيد تحت ظلام الصدريين" - مهدي قاسم. صوت العراق - 11-05-2009. <http://www.sotaliraq.com/printerfriendly-articles.php?id=39044>  
اطلعنا عليه في 15 مايو/آيار 2009.

<sup>128</sup> مقابلة لهيمون رايتس ووتش مع طارق (اسم مستعار) - العراق، 18 نيسان/ابريل 2009.

<sup>129</sup> تنص اتفاقية فيينا بشأن قانون المعاهدات، والذي اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام ابتداء من 23 مايو/آيار 1969، U.N.T.S. 331، على ان واجبات الدول بمقتضى الاتفاقيات الدولية التي صدقت عليها لا تسقط ولا يبطل سريانها مع تغيير نظام الحكم.

<sup>130</sup> العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية: 999, 6316, at 52, U.N. Doc. A/2200A (XXI), 21 U.N. GAOR Supp. (No. 16) December 16, 1966. U.N.T.S. 171, December 16, 1966

<sup>131</sup> انظر مثلا: Communications nos. 195/1985, *Delgado Páez v. Colombia*, adopted July 12, 1990; 314/1988, *Bwalya v. Zambia*, adopted July 14, 1993; 468/1991, *Oló Bahamonde v. Equatorial Guinea*, adopted October 20, 1993; 449/1991, *Mojica v. Dominican Republic*, adopted August 10, 1994; 916/2000, *Jayalath Jayawardena v. Sri Lanka*, adopted July 26, 2002;

في الأمان والأمان على الحكومة اتخاذ الإجراءات الازمة حيثما وجد ما يهدد الأفراد أو الجماعات بشكل واضح وقابل للتحديد، ومن أمثل هذه الإجراءات تقصي أمر هذه التهديدات بهدف وضع حد لها. ولجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان (والمحول إليها تفسير العهد الدولي تفسيراً قاطعاً، ورصد مراقبة الدول لبيان هذا العهد) قد رأت مراراً وتكراراً أن الدول تُعَذَّب في حالة انتهاك لواجباتها المنصوص عليها في المادة 9 في حالة تقاعسها عن اتخاذ الخطوات الكافية لحماية الأشخاص في مواجهة التهديدات المتكررة بالقتل ، كما انتقدت اللجنة تقاعس الدول عن حماية الأشخاص من العنف بسبب الميول الجنسية.<sup>132</sup>

كما يرى المقرر الخاص للأمم المتحدة المعنى بحالات الإعدام خارج نطاق القضاء، والإعدام الفوري أو التعسفي. إنه حيثما يتلاعنه نظام القضاء الجنائي عن التحقيق في حالات القتل العمد بسبب الميول الجنسية أو الهوية من حيث النوع الاجتماعي، فإن "الدولة تتحمل المسؤولية بمقتضى قانون حقوق الإنسان الدولي عن الأشخاص العديدين الذين قتلهم الأفراد عمدًا".<sup>133</sup>

### **الحماية من التعذيب والمعاملة الإنسانية والمهينة**

يحظر العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية التعذيب والمعاملة اللا إنسانية بأنواعها في مادتيه 7 و 10 كما صدق العراق على اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة (والمعروفة باسم اتفاقية مناهضة التعذيب)،<sup>134</sup> وحضر التعذيب له جذور تضرب في أعماق القانون العرفي الدولي، حيث يؤكّد الميثاق العربي لحقوق الإنسان، في المادة 13، "تحمي الدول الأطراف كل إنسان على إقليمها من أن يعذب بدنياً أو نفسياً أو أن يعامل معاملة قاسية أو لا إنسانية أو مهينة أو حاطة بالكرامة وتتخذ التدابير الفعالة لمنع ذلك وتعتبر ممارسة هذه التصرفات أو الإسهام فيها جريمة يعاقب عنها".

ويذكر كل من العهد الدولي واتفاقية مناهضة التعذيب بالتفصيل الخطوات التي يتسمى على الدول اتخاذها لتنفيذ حظر التعذيب، بما في ذلك واجب التحقيق في الانتهاكات ومقاضاة الجناة وتوفير الحلول الفعالة حين تقع الانتهاكات.<sup>135</sup> كما أوضحت لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان أن واجب حماية الناس من التعذيب والمعاملة اللا إنسانية لا يسري فقط على الأفعال التي يرتكبها موظفو الدولة مثل رجال الشرطة، ولكن أيضاً على الأفعال التي يلحقها الأشخاص بصفتهم الخاصة بضحاياهم.<sup>136</sup>

<sup>132</sup> 859/1999, *Vaca v. Colombia*, adopted April 1, 2002; 821/1998, *Chongwe v. Zambia*, adopted November 9, 2000; and .1250/2004, *Arachchige Lalith Rajapakse v. Sri Lanka*, adopted September 5, 2006 Human Rights Committee, "Concluding Observations: El Salvador," CCPR/CO/78/SLV, July 22, 2003, para. 16

<sup>133</sup> اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو المهيمنة - اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة للأول/ديسمبر 1984، تاريخ بدء النفاذ: 26 حزيران/يونيه 1987، وفقاً لأحكام المادة 27 (1). في 17 أغسطس/آب 2008 اعتمد مجلس الرئاسة العراقي قرار البرلمان بالتصديق على اتفاقية مناهضة التعذيب. انظر [http://www.iraqipresidency.net/news\\_detial.php?language=arabic&id=6067&type=news](http://www.iraqipresidency.net/news_detial.php?language=arabic&id=6067&type=news) واطلعنا عليه في 10 يوليو/تموز 2009.

<sup>134</sup> انظر مثلاً Communication no. 322/1988, *Rodriguez v Uruguay*, adopted July 14, 1994; 328/1988, *Blanco v Nicaragua*, adopted July 20, 1994; 1096/2002, *Kurbanov v Tajikistan*, adopted November 6, 2003 Human Rights Committee, "General Comment 20, Article 7" (Forty-fourth session, 1992), *Compilation of General Comments* (and General Recommendations Adopted by Human Rights Treaty Bodies, U.N. Doc. HRI/GEN/1/Rev.1 at 30 (1994

## عدم التمييز والحقوق الأساسية

تلزم المادة الثانية من العهد الدولي الدول الأعضاء بـ "احترام الحقوق المعترف بها فيه، وبكافة هذه الحقوق لجميع الأفراد الموجودين في إقليمها والداخلين في ولايتها، دون أي تمييز". أما المادة 26 فتنص على أن "الناس جميعاً سواء أمام القانون ويتمنون دون أي تمييز بحق متساو في التمتع بحمايته". كما قالت لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان بشكل واضح وصريح في عدة مناسبات أن الميول الجنسية من الحالات المحمية من التمييز بمقتضى هذه المواد.<sup>137</sup> ويحظر القانون الدولي تقوّل الفرق في الحصول على العدل وعدم المساواة في الحماية من العنف. يكفل العهد الدولي الحق في الخصوصية "المادة 17" وحق التعبير "المادة 19" وحق التجمع السلمي "المادة 21". ومن ضمن هذه الحقوق حرية الحياة الخاصة في سلام وأمان، وحرية التعبير عن النفس، بما في ذلك التعبير عن هوية المرأة الجنسية، من خلال الملبس أو الهيئة العامة، وحرية الحركة واللقاء في الأماكن العامة بلا خوف من التحرش أو التعدي. على الدولة حماية الأفراد في تتمتعهم بهذه الحقوق. لا بد من منع اضطهاد الناس أو التحرش بهم لأنهم يمارسون هذه الحقوق، إن أمكن، ولا بد من معاقبة الجناة حيثما يقع ذلك.

ليس للقوانين العراقية التي تحكم أي حق من هذه الحقوق أن تفرض أية حدود، إلا في نطاق ما يتماشى مع المعايير القانونية الدولية – ومعنى ذلك أنه لا يُفرض ما يحد من الحريات إلا من أجل تحقيق هدف مشروع. فنصحت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان بالآتي: "التدابير التي تحد من الحريات لا بد أن تخضع لمبدأ الت المناسب؛ ولا بد أن تكون مناسبة لإنجاز وظيفتها وهي الحماية؛ ولا بد أن تتنقّل الوسيلة الأقل تدخلاً من بين الوسائل المتاحة للتوصيل إلى النتيجة المطلوبة؛ ولا بد من تناسبها مع المصلحة المطلوب حمايتها".<sup>138</sup> كما أن أية حدود مفروضة عليها أن تلتزم التزاماً صارماً بمبدأ عدم التفرقة.

لا يجب أن تستخدم مثل هذه القيود بتأئي لمعاقبة المدافعين عن حقوق الإنسان على ما يفعلونه، بمن فيهم الذين يتناولون قضايا الميول الجنسية أو الهوية من حيث النوع. وكل من الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة المعنى بالمدافعين عن حقوق الإنسان والمقرر الخاص للأمم المتحدة المعنى بالتعذيب قد أشارا إلى (كما قال أولهما) "المخاطر الأعظم... التي يواجهها المدافعون عن حقوق بعض الجماعات، لأن عملهم يتحدى الأبنية الاجتماعية والممارسات التقليدية والنقسيات السائدة للنصوص الدينية التي قد تكون استخدمت على فترات زمنية طويلة للسكوت عن انتهاك الحقوق الإنسانية لمن ينتمي لهذه الفئات أو تبرير مثل هذه الانتهاكات ومنهم... جماعيات حقوق الإنسان والناشطين في قضايا الجنس، وبخاصة الميول الجنسية... غالباً تكون هذه الجماعات عرضة للتحيز بشكل خاص، وللتهميش وللبذ العام، ليس فقط من جانب الدولة ولكن من جانب غيرها من الأطراف المجتمعية".<sup>139</sup>

<sup>137</sup> انظر *Toonen v Australia*, Communication no. 488/1992, adopted April 4, 1994; *Young v Australia*, Communication no. 941/2000, adopted September 18, 2003. كما ألحت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان على الدول بسن قوانين مناهضة للتمييز تذكر الميول الجنسية صراحة، وأن يعدلوا الدستور الخاص بكل منهم لحظر أي نوع من أنواع التمييز على أساس الميول الجنسية و الهوية من حيث النوع الاجتماعي. Human Rights Committee, "Concluding Observations: Slovakia," CRC/C/SVK/CO/2, June 8, 2007, para. 28; "Concluding Observations: Namibia," CCPR/CO/81/NAM, July 30, 2004, para. 22; Concluding Observations: Trinidad and Tobago, CCPR/CO/70/TTO, November 3, 2000, para. 11; "Concluding Observations: Poland," 66th Session, CCPR/C/79/Add.110, para. 23

<sup>138</sup> General Comment 16/32, in ICCPR/C/SR.749, March 23, 1988, para. 4. See *Toonen v. Australia*, para. 8.3 Report of the Special Representative to the Secretary General on Human Rights Defenders," UN Doc. E/CN.4/2001/94 " <sup>139</sup> Report of the Special Rapporteur on the Question of Torture and other Cruel, Inhuman and Degrading Treatment or Punishment," UN General Assembly, A/56/156, July 3, 2001

## التوصيات

تقدّم هيومن رايتس ووتش التوصيات التالية للأطراف الأساسية:

### إلى جميع الميليشيات بما في ذلك الجيش المهدى:

- التوقف عن جميع الهجمات ضد المدنيين وغير العسكريين، بما في ذلك العنف ضد الأشخاص المستهدفين بسبب عدم تماشيهم مع تقاليد "الذكورة"، أو من ترتابون في ممارساتهم للسلوك المثلي.
- شجب مثل هذا العنف بشكل علني وصريح.

### إلى القيادات السياسية والثقافية والدينية في العراق والبلدان الأخرى من عبّروا عن مساندتهم للقوى المتمردة والميليشيات بالعراق:

- الشجب العلني لجميع أعمال العنف ضد المدنيين وغير العسكريين، بما في ذلك العنف ضد الأشخاص المستهدفين بسبب عدم تماشيهم مع تقاليد "الذكورة"، أو من ترتابون في ممارساتهم للسلوك المثلي؛
- شجب الميليشيات التي تمارس مثل هذا العنف بشكلٍ علني، والتعبير علّيًّا عن مساندتكم لسيادة القانون.

### إلى حكومة العراق:

- التحقيق في كل ما يرد عن العنف الذي تمارسه الميليشيات أو غيرها ضد الأشخاص المستهدفين بسبب عدم تماشيهم مع تقاليد "الذكورة"، أو من ترتابون في ممارساتهم للسلوك المثلي، ومعاقبة الجناة عقابًا يتلائم والجريمة التي ارتكبوها؛
- شجب مثل هذا العنف بشكل علني وصريح؛
- التحقيق فيما إذا كانت الروابط مستمرة ما بين وزارة الداخلية والميليشيات التي عملت فيما مضى عمل القوات الأمنية شبه المستقلة تحت حماية الوزارة بما في ذلك الجيش المهدى؛
- التحقيق في جميع مزاعم الإساءة على يد قوات الشرطة أو الأمن، بما في ذلك الانتهاكات في حق الأشخاص الذين لا تنطبق عليهم أعراف "الذكورة"، أو من ترتابون في ممارساتهم للسلوك المثلي، ومعاقبة الجناة عقابًا ملائماً؛
- التحقيق مع جميع مسؤولي وزارة الداخلية المتورطين في جرائم قتل كتائب الإعدام أو غير ذلك من الأعمال غير القانونية بما في ذلك التعذيب، والاعتداءات، والابتزاز، ومقاضاة مرتكبي مثل هذه الأفعال؛
- إجراء متابعة سليمة لأفراد الشرطة وقوات الأمن، والمسؤولين عن إنفاذ العدالة الجنائية. وتدرّبهم تدريجياً سليماً، مع التأكيد أن هذه التدريبات تتضمن التدريب على قضايا حقوق الإنسان بما في ذلك قضايا الميول الجنسية والتعبير عن الهوية من حيث النوع والهوية الجنسية، وإنشاء آلية فعالة للمراقبة والمساءلة؛
- اتخاذ جميع التدابير المناسبة، لإنهاء التعذيب وحالات الاختفاء وحالات القتل بمعزل عن القضاء وغير ذلك من انتهاكات حقوق الإنسان، بما في ذلك الانتهاكات التي تتخذ الميول الجنسية والتعبير عن الهوية من حيث النوع والهوية الجنسية، سبباً لها؛
- إلغاء المادة 128 من قانون العقوبات، والتي تعتبر "ارتكاب الجريمة لبواحت شريفة" "عذراً مخففاً"؛
- فحص ومراجعة المواد الفضفاضة من قانون العقوبات، بما فيها المواد 401 و 402 و 501 و 502 و 200/2 التي يمكن استخدامها في تبرير الاعتقال التعسفي أو التحرش بالأشخاص بسبب الميول الجنسية والتعبير عن الهوية من حيث النوع والهوية الجنسية، أو التي يمكن استغلالها في منع المجتمع المدني من

التصدي للقضايا التي لا تحظى بشعبية واسعة أو التي تلحق بها وصمة العار؛ إلغاء هذه المواد أو تعديلها إذا لزم الأمر، أو اتخاذ غير ذلك من التدابير لضمان عدم تطبيقها بأسلوب تعسفي أو أسلوب يتميز بالترفة فيما يتنافى مع قوانين حقوق الإنسان الدولية؛

- إنشاء مجلس قومي مستقل لحقوق الإنسان ومساندة الحكومة العراقية لذلك المجلس.
- مساندة نهوض جمعيات أهلية محلية مستقلة معنية بحقوق الإنسان وتتوفر لديها صلاحيات رصد انتهاكات حقوق الإنسان في كامل نطاقها، وضمان قدرتها على العمل بلا مضايقة ولا تدخل من جانب الدولة؛
- تدريب جميع المسؤولين عن إنفاذ العدالة الجنائية في الاستجابة الفعالة للعنف ضد النساء والرجال على أساس النوع الاجتماعي؛
- تشجيع المساواة بين الجنسين بتضمين الضمانات الصرحية في القوانين، بحيث تكفل المساواة للنساء في الحق في الزواج وحقوقهن داخل مؤسسة الزواج وعند إنهاء الزواج وفي الميراث.

#### إلى الولايات المتحدة والقوات متعددة الجنسيات بقيادة الولايات المتحدة في العراق:

- إعاقة الحكومة العراقية حيثما أمكن على التحقيق في عنف الميليشيات أو غيرها ضد الأشخاص الذين لا تطبق عليهم أعراف "الذكورة"، أو من يرتادون في ممارستهم للسلوك المثلثي؛
- إنهاء الاحتجاز التعسفي دون محاكمة بما في ذلك الاعتقال التعسفي للأشخاص الذين يعتقد أنهم ينتمون إلى الميليشيات؛ وتوفير الخدمات المناسبة للمحتجزين الذين تم الإفراج عنهم لمساعدتهم على إعادة الاندماج في المجتمع وضمان عدم عودتهم للعنف؛
- مساعدة الحكومة العراقية على إجراء متابعة سليمة لأفراد الشرطة، وتدريبيهم تدريباً سليماً، وضمان أن جميع البرامج التدريبية تحوي جزءاً خاصاً بحقوق الإنسان، وأن هذا البرنامج تعامل صراحةً مع معايير حقوق الإنسان الخاصة بالخصوصية والحماية من التعذيب والقضايا المتعلقة بذلك على إنها لا استثناء منها للهوية الجنسية والتعبير عن النوع الاجتماعي والهوية من حيث النوع الاجتماعي.

#### إلى حكومات جميع دول المنطقة:

- ضمان عدم تعرض أي لاجئين عراقيين للرد من حيث جاءوا، سواءً عند الحدود (عن طريق عدم السماح لهم بالدخول) أو بعد دخولهم الدولة المضيفة؛
- ضمان تعامل جميع أجهزة الدولة مع اللاجئين العراقيين داخل حدودكم معاملة كريمة تحترم حقوقهم الإنسانية، بلا استثناء بما في ذلك الاستثناءات على أساس الميول الجنسية أو الهوية من حيث النوع.

#### إلى المفوضية السامية للأمم المتحدة للاجئين:

- رصد الهجمات والانتهاكات على أساس الميول الجنسية والتعبير عن النوع الاجتماعي والهوية من حيث النوع بالعراق والإبلاغ عنها، وذلك بالتنسيق مع بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق؛
- التدخل بشكل إيجابي لحماية ملتمسي اللجوء واللاجئين من الأقليات الجنسية من الإساءة إليهم في بلاد اللجوء الأول داخل المنطقة، ولمنع أي رد للأشخاص من حيث جاءوا إذا هدد الوضع بذلك؛
- التأكد من إعادة توطين هؤلاء اللاجئين بشكل سريع في بلدان خارج المنطقة، وضمان التعاون النشط والإيجابي من ناحية بلاد اللجوء الأولى وببلاد إعادة التوطين الثانية؛

## إلى الحكومات المعنية الأخرى والهيئات الدولية:

- الإصرار على التزام جميع دول المنطقة بمعاملة العراقيين والعربيات من المثليين والمثليات ومزدوجو ومزدوجات الميول الجنسية ومتحولو ومتحولات الجنس أو النوع الاجتماعي الهاريين من بلدتهم بما يتوافق تماماً مع المعايير الدولية؛
- إدراك أن طالبي اللجوء العراقيين من المثليين والمثليات ومزدوجو ومزدوجات الميول الجنسية ومتحولو ومتحولات الجنس أو النوع الاجتماعي يواجهون مواقف خطيرة قانونية كما يواجهون التحيز الاجتماعي الشديد في جميع البلاد المحظوظة، ومن ثم توفير إعادة التوطين السريع، والعاجل إذا لزم الأمر في بلاد لجوء ثالثة؛
- المساعدة في الإصلاح القانوني في العراق بما يتوافق مع جميع المعايير الدولية لحقوق الإنسان بما في ذلك المعايير المتعلقة بالميول الجنسية والهوية من حيث النوع؛
- الرقابة ومساعدة أداء مؤسسات إنفاذ العدالة الجنائية والشرطة والأمن ومكافحة الإرهاب في أدائها واجبها والعاملين بهذه المؤسسات لضمان التماشي الكامل مع معايير حقوق الإنسان الدولية؛
- مساندة إنشاء مجلس قومي مستقل لحقوق الإنسان بالعراق وجمعيات أهلية محلية مستقلة معنية بحقوق الإنسان لديها صلاحيات رصد انتهاكات حقوق الإنسان بكامل نطاقها.

## **المصطلحات المستخدمة**

فيما يلي شرح لبعض المصطلحات الأساسية المستخدمة في هذا التقرير.

**الجنس البيولوجي:** تصنيف الأجساد إلى ذكور وإناث طبقاً لعلم الأحياء، وذلك بناء على عدة عوامل منها الأعضاء الجنسية الخارجية، والأعضاء الجنسية والتناسلية الداخلية، والهرمونات والكروموسومات.

**النوع الاجتماعي:** (أو "النوع" من ذكر أو أنثى) السمات الخارجية والسلوكيات التي تضفي عليها المجتمعات صفة "الذكورة" أو "الأنوثة"، بما في ذلك صفات منها الزي والمظهر والألفاظ وأسلوب الحديث والسلوكيات والتعاملات الاجتماعية.

**التعبير عن النوع:** السمات والسلوكيات الخارجية التي تُعرف بها المجتمعات ما هو "ذكري" و"أنثوي"، ومنها مظاهر مثل الملبس والمظهر الخارجي والسلوك في التعامل وأسلوب الكلام والسلوك الاجتماعي ومختلف أشكال القواعل الاجتماعي.

**هوية النوع الاجتماعي أو الهوية الجندرية:** الشعور الداخلي العميق داخل كل فرد بذكورته أو أنوثته، أو بهوية لا تدرج تحت هذين التصنيفين.

**العنف المبني على أساس النوع الاجتماعي:** العنف الموجه إلى شخص ما بسبب نوعه الاجتماعي أو جنسه. يشمل العنف على أساس النوع كلاً من العنف الجنسي والعنف الأسري والإساءة النفسية والاستغلال الجنسي والتحرش الجنسي والممارسات التقليدية الضارة، والممارسات التي تتصف بالقرفة والتمييز المبنيان على النوع. وكان المصطلح يشير فيما مضى إلى العنف ضد المرأة، أما الآن فقد اتسع نطاق معناه ليضم العنف الذي يستهدف النساء والرجال على حد سواء إذا اتّخذ تعبيرهم عن نوعهم وهوبيتهم سبباً ودافعاً له.

**الميل الجنسي:** الاتجاه الذي تتخذه رغبات المرء العاطفية والجنسية. ويصنّف المصطلح الأشخاص طبقاً لنوع الذي تقع عليه رغباتهم الجنسية، حيث يحدد إذا ما كان الشخص ينجذب في المقام الأول إلى نفس الجنس أو إلى الجنس الآخر أو إلى الجنسين.

**مغاورو الجنس:** الأشخاص الذين ينجذبون إلى الجنس الآخر في المقام الأول.

**المثليون:** الأشخاص الذين ينجذبون إلى نفس الجنس في المقام الأول.

**"جاي":** كلمة أصلها إنجليزي ومستخدمة في بعض اللغات الأخرى بمعنى "متّي"، وأحياناً تستخدم في وصف الرجال الذين ينجذبون في المقام الأول إلى غيرهم من الرجال.

**مثالية:** امرأة تتجذب في المقام الأول إلى النساء.

المثيين والمثليات ومزدوجو ومزدوجات الميول الجنسية ومتحولو ومتحولات الجنس أو النوع الاجتماعي / م.م.م.م. .: مصطلح مختصر يضم كلمات "مثلي - مثالية - ومزدوج الميول الجنسية - متتحول الجنس أو النوع الاجتماعي" وهو يضم هذه الفئات التي نطلق عليها أحياناً مصطلح آخر هو "الأقليات الجنسية".

## شكر وتنويه

كتب هذا التقرير سكوت لونغ، مدير برنامج حقوق المثليين والمثليات ومزدوجو ومزدوجات الميول الجنسية ومتحولو ومتحولات الجنس أو النوع الاجتماعي في هيومن رايتس ووتش. والتقدير مبني على أبحاث أجراها كلٌ من رشا مومنه، الباحثة بقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في هيومن رايتس ووتش، وسكوت لونغ. قام بالمراجعة كلٌ من: سامر مسقطي، الباحث بقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وسارة ليا ويتسن، المديرة التنفيذية لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وبيل فريليك، مدير برنامج سياسات اللاجئين، وأيسلنغ ريدي، الاستشاري القانوني الرئيسي، وجو ساوندرز، نائب مدير البرامج. ترجمت التقرير إلى العربية د. سارة عناني وساعد في إنتاج التقرير كلٌ من جيسيكا أونيان وغريس تشوي وأنا لوبرايوري وفيتزروي هوبكنز.

قام بالبحث في مواد الشريعة الإسلامية وكتابتها بشكل مبدئي الأستاذ الدكتور أحمد أحد الأستاذ بقسم الدراسات الدينية بجامعة كاليفورنيا بسان타 باربارا والاستشاري لـ هيومن رايتس ووتش. أما كلٌ من جورج قزي وغسان مكارم، وغيرهم من العاملين والمتطوعين بمنظمة حلم لبنان، وعلى حلي من جمعية "عرافي إل جي بي تي"، وإستيفاني الحداد ولينا بارداعجي وهانيا مفتى وتير روزن، فقد قدموا المساعدة والعون الغالبين لعملية البحث التي قامت بها هيومن رايتس ووتش. كما ساعدنا مساعدة كبرى العاملون ببعثة المساعدة للأمم المتحدة بالعراق. أما الكثيرون، سواء داخل العراق أو خارجه، فمن لا يمكن أن نذكر أسماءهم حرصاً على سلامتهم أو أمان أسرهم، فأمدودنا بالمعلومات والمساعدة بمختلف أنواعها.